ثانيا ـ الموقف الاسرائيلي والحل السلمي :

يقع نظر المتقصي لاسباب العناد الاسرائيلي في فوز الامور الواقعة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وتأييدها ، اول مايقع ، على ما يسميه السياسة العرب " آثار العدوان " ، وهو جملة من المكاسب حققتها اسرائيل نتيجة لانتصارها فلا غرابة اذ ن ان هي جهدت في المحافظة عليها . لكن هذا النظر ، متى يعدى الوجه الظاهر من المشكلة ، يجد ان المكاسب المذكورة لاتتيح فهما كافيا لموقف اسرائيل ، ما دامت تلصق الصاقا بوضع الدولة الصهيونية السابق على الحرب ، ولا تؤخذ على انها المظهر الابرز ـ لاالاوحد ولا الاكثر عمقا ـ بين مظاهر الانقلاب الذى احدثته الحرب في الوضع الاسرائيلي من جميع نواحيه . اى ان قيمة " آثار العدوان " ليست فقط ـ عند اسرائيل ـ تغيير معطيات المواجهة المسكرية بينها وبين الدول العربية ولاهي مطلقا ذخيرة من التنازلات تستعد اسرائيل لتقديمها او تقديم بعض منها الى هذه الدول لقاء السلام ، ولا هي ايضا ما يجنيه الحكم الصهيوني من فوائد اقتصادية فحسب بسبب الاحتلال . بل ان هذه القيمة تتعدى ذلك كله لتمس ، شيئا فشيئا ، تغييرا في تكوين اسرائيل كله يتناول الاسس التي تحمل هذه الدولة والقوى التي تشكلها على الصعيدين الايديولوجي والسياسي ويفضح طبيعة المواجهة بينها وبين الفلسطينيين خاصة وبينها وبين العرب عامة ، اذ يرد للصهيونية وجهها الصريح ، ويزيد ، اخيرا من التحاقها بالامبريالية العالمية ـ الاميركية خاصة ـ ويقرب هذه الاخيرة ، اكثر فاكثر ، من ساحة الصراع الدائر بين العرب واسرائيل . هذا التغيير العميق يعرف اسرائيل حق المعرفة انه ، رغم مظاهر القوة التي يمنحها اياها ، على مدى قريب ، لا يخلو من خطر شديد عليها ، تلوح سحبه منذ الان في الافق ، لكنها كما سنرى مضطرة الى مجابهاته .

يبقى ان تعداد " آثار العدوان " المباشرة وماجنته اسرائيل مباشرة منها ، امر لابد منه توطئة للبحث . والاثر الاهم بين هذه الاثار هو ان اسرائيل بحدودها التي خططتها اتفاقات ١٩٤٩ قد احاطت نفسها من عدة انواع بعوائق عربية جديدة جعلت الحدود القديمة بمنأى عن الجيوش العربية النظامية ـ عدا الجيش الاردني الذى تقلصت حدود المواجهة معه والجيش اللبناني وهما بين اضعف الجيوش العربية ـ فأصبحت هذه الجيوش ترابط ، بمعظمها امام اراضي بلدانها المحتلة لا امام الاراضي التي يقوم عليها الكيان الصهيوني . هكذا قامت بين اسرائيل والدول العربية المحيطة بها عوازل عسكرية جاءت لتضاف الى النظامين الاردني واللبناني وهما يشكلان عازلين سياسيين لهما ، في عين اسرائيل ، اهمية خاصة ، ويصح اجمال هذا الجانب بالقول ان اسرائيل قد اعادت توحيد فلسطين القديمة بالحدود التي كانت لها ايام الانتداب البريطاني ـ وذلك حيث احتلت الضفة الغربية وقطاع غزة ـ وزادت عليها سيناء المصرية والجولان السوري . ولنلاحظ ان جزئين على الاقل من هذه الاراضي الجديدة لهما اهمية عسكرية حاسمة : الجولان ، وكانت مدن الجليل وقراه تحت رحمة مواقعه الحصينة ، والجزء المواجه لتل ابيب من الضفة الغربية ، وكانت الموانئ الاسرائيلية على المتوسط لاتبعد عنه الا مسافة يقطعها السائر المتعجل على قدميه بحوالى ساعتين . هذا عن الجانب العسكري البحت . اما الجانب الاقتصادي فيتلخص في ان اسرائيل تستغل الان آبار البترول المصرية في سيناء وانها امنت حرية المرور لسفنها في خليج العقبة وانها تستولي على ايرادات السياحة في القدس وانها تستفيد من رخص اليد العاملة والحاصلات الزراعيه في الضفه الغربيه ، وان كانت تحصر هذه الاستفادة ضمن حدود ضيقة بحيث لا يتضرر سكانها من جراء المنافسة .. الخ . . ثم ان كل ماكسبته اسرائيل ، على هذا الصعيد ، قد خسرته الاقطار العربية المحيطة بها ، اذ فقد الاردن ، مع الضفة الغربية والقدس ، اقل بقليل من نصف دخله الثابت وفقدت مصر ، عدا سيناء ، دخلها من قناة السويس . . طبعا تتحمل اسرائيل كلفة الاحتلال لكن الاقطار العربية المحيطة بها تتحمل كلفة بناء الجيوش من جديد بعد الهزيمة . . طبعا لحقت مصر والاردن تتلقيات مساعدات من دول البترول

وفي العربية لتقويم ما اعوج في اقتصاد عدما .. لكن هذا هو ايضا — وعلى نطاق اوسع — حال اسرائيل .. اما الجانب
شتا السياسي فمؤداه ان اسرائيل كانت ترجو من وراء الوضع الجديد ، ان تحول العوازل الارضيه التي احاطت نفسها بها
نشا الى عوازل سياسية يمسي تخطيها غروريا قبل ان توضع شرعية الكيان الاسرائيلي نفسه ، جديا ، موضع التشكيك او الرفض
بش من جديد بحيث تتراجع الانظمة العربية ، مع تراجع جيوشها ، الى موقع القبول بالواقع الاسرائيلي وينحصر رفضها بواقع
قم الا الاحتلال الجديد ، دون ان يعني ذلك ابدا ان اسرائيل مستعد للتخلي تخليا كاملا عن هذا الاخير — الاحتلال — او
نفس عن اجزاء اساسية من الارض المحتلة ، على الاقل . ولقد تم لاسرائيل ما ارادت ، على هذا الصعيد ايضا ، وكان قبول دول
م الس عربية ثلاث : مصر ، الاردن ، لبنان ، بقرار مجلس الامن (في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧) اعم مظاهر هذا التراجع
ا على العربي ..

تلك هي الحال كما تبدو للوهلة الاولى . لكنها ، في الحقيقة ، ليست على هذا القدر من البساطة فالردة السياس
ا التي الجئت اليها الانظمة العربية — وقد عرضنا في القسم الاول من هذا البحث صيغتها المصرية — قابلها توسع المقاومة
ل الفلسطينية المسلحة وازدياد وزنها من جهة وتعمق العداء الجماهيري العربي للاستعمار الصهيوني وتطور البحث عن صيغ
ل جديدة فعالة تصليها الجماهير لجولتها الحاسمة معه من جهة ثانية . ثم ان وضع الاحتلال المفروض على اراض عربية جديدة
د يقطنها حوالي مليون عربي يدق اسفينا اول في تماسك الكيان الصهيوني ويعرضه لخيار — بين الضم والانسحاب — لاقبل له
القد بتحمل اي من لرفيه لاجل طويل . والهزيمة التي زعزعت الانظمة العربية كلها تفتح الباب ، مع استمرار المواجهة ، لتحولات
لصفي طبيعة هذه الانظمة ، وبالتالي في طبيعة الحرب ، تنذر بتحول جذري في ميزان القوى الذي تقوم اسرائيل على رجحان
وله كفتها الراجح فيه . هذه الامور كلها وقد فصلنا بعضها في القسم السابق ، مازلنا في حاجة الى المزيد من تحليل مجالها
بالا لتحديد مستقبل المواجهة . ونحن سوف نعرض في هذا القسم للشكل الذي تمد به مواقف السياسة الاسرائيلية بعد الحرب
لا جذورها في صلب البنية الصهيونية بوضعها الجديد ثم نصف ، من خلال هذا الشكل ، الاثار المحتملة والحدود الخانقة
لشا التي يصح توقعها لعاملين تعلق عليهما الانظمة العربية آمالا عريضة في الخروج من طريق الانحلال الذي تسير عليه : هذان
ع العاملان عدما " الضغط " الاميركي على اسرائيل والاعداد العسكري العربي لمواجهتها . ولنذكر اننا كنا قد تعرضنا في
ف القسم الاول لحدود العامل الثاني من جانبه العربي ، فلم يبق الا ان نحدد هنا عناصر التفوق الصهيوني العسكري .
ك كذلك اشرنا الى ان " الضغط " الاميركي على اسرائيل — حين يكون حاضرا ، وهو في معظم الاحوال يفسح المجال امام
سا الحفز على العدوان والمساعدة فيه — لايجاوز ابدا مستلزمات الحفاظ على مصالح الطبقة الحاكمة في اسرائيل وعلى الكيان
ص الصهيوني من باب اولى .. ونحن سنحاول التفصيل هنا في هذا الشأن موضحين ، قدر الامكان ، اصول العلاقة بين
ري اسرائيل والامبريالية العالمية التي تقودها الولايات المتحدة .
وث — " العقبات والصقور "

شد عاش الحكام في البلدان العربية المحاذية لاسرائيل زمنا رغدا بعد ١٩٦٧ وهم في سكرة الامل بان يسفر الخلاف
مجين " العقبان " والحمائم " في الدولة الصهيونية عن اعتماد موقف رسمي يقرب حكومة الائتلاف الاسرائيلية من قرار مجلس
تد الامن او يشق الائتلاف لصالح " المعتدلين " . وكان الرجاء معقودا على الجدل الذي اثاره بدء التحضير للمعركة
حا الانتخابية القريبة . لكن الرجاء خاب ولم يفجأ بخيبة الا الذين علمتهم الهزيمة ان يقطروا حبورا امام كل سراب . فالبرنامج
ع الانتخابي المشترك الذي اقرته الجبهة العمالية الحاكمة (وهي مكونة من حزب العمل الذي نشأ عام ١٩٦٨ عن اندماج احزاب
ح الائتلاف الحاكم — اكبر الاحزاب الاسرائيلية — ورافي — حزب موشي دايان — واحدوت افودا — حزب ايغال الون — ومن
ب " يساري " صهيوني هو حزب المابام) جاء مدعاة للاسف في عين الذين لم يعوروا يملكون سوى الاسف . هذا البرنامج
سيكون خلاصة الحكم الاسرائيلي المقبلة — اعلن نية اسرائيل ، بعد ان ضمت القدس العربية ، في ضم مرتفعات الجولان وقطاع
ة وجزء غير محدد من سيناء يصل الاراضي الاسرائيلية بشرم الشيخ الذي سيبقى ايضا تحت سلطة اسرائيل . اما مصير
ضفة الغربية فيترك معلقا او بالاحرى نصف معلق .. فنهر الاردن هو الحد الامن لاسرائيل من جهة الشرق ، والقوات العربية
م يسمح لها بعبوره بعد اليوم ايا كان مصير الضفة الغربية (١) . ما الذي يفيض عن الشهية الصهيونية من بعد فتقدمه
طو السلام ؟ القناة المفتوحة بعد ان تتيقن السفن الاسرائيلية من حريتها في عبورها وبعد ان يزيل خط الانابيب الممتد من
لات على البحر الاحمر الى اشدود على البحر المتوسط جانبا عاما من فائدتها وقسم من سيناء لايعلم الا حكام اسرائيل
ا كان سيضم اولا يضم آبار البترول المصرية وقسم من الضفة الغربية يحشر فيه الفلسطينيون حشرا تحت استعمار صهيوني
شر او غير مباشر . هذا كله يجري بينما يستمر تنافس " النجمين " الصاعدين دايان والون في التألق . فالاول يرى
. استراتيجية اسرائيل " هي في الصمود على خطوط وقف اطلاق النار لا في احتلال اراض عربية جديدة " اما الثاني
علن ان اسرائيل لا تستطيع البقاء مكشوفة الذراعين اذا ما انهار حكم الملك حسين وانها في هذه الحالة " قد تدفع
لوط وقف اطلاق النار نحو الشرق وفقا لحاجاتها الاستراتيجية(٢) " هذا ولا بأس علينا ان نحن اخذنا علما بمغزى كل
التصريحين : فدايان يشير الى ان اسرائيل تعرف مصلحتها والون يؤكد انها تعرف حلفاءها ايضا ...

انظر لوموند — ٥ آب ١٩٦٩
انظر لوموند — ١٤ — ١٥ ايلول ١٩٦٩

ذكر ان العلة ليست في اتجاه القيادة السياسية التي تحكم اسرائيل ، بل هي في صلب المجتمع الصهيوني نفسه وفي نزوعه الى الاستمرار على القاعدة التي نشأ عليها وهي قاعدة تتحدد ايجابا بكون الغاية من انشاء هذا المجتمع هي لمّ شتات الجاليات اليهودية الموزعة في سائر اقطار العالم وتتحدد سلبا برفض الفلسطينيين خاصة والعرب عامة لمجتمع غريب نشأ على ارضهم فانتزع منها مجتمعا آخر كان يضمهم ، وهو يتذرع دائما بمزيد من التشريد ومزيد من الاخضاع لمقتضيات نشوئه ومصالح حلفائه . عليه لا يسع اية قيادة سياسية في اسرائيل ان تخرج على منطق التوسع ، الذى لا يعني توسيع الارض فحسب بل تأمين حمايتها وتدعيم المصالح الاقتصادية على امتدادها ايضا ، دون الخروج على الايديولوجية الصهيونية نفسها ، وهو خروج يعني التشكيك في شرعية الكيان الصهيوني كله ، شرعية نشوئه وشرعية بقائه (٢) وقد تختلف الاتجاهات السياسية في اسرائيل حول تنظيم المجتمع الصهيوني وعلاقاته الخارجية ، لكن الاختلاف حول شرعية السيطرة الصهيونية على فلسطين وغايتها وضرورة الذود عنها ، لا يمكن الا ان ينتزع انتزاعا من خارج الدولة اليهودية ، ولا يؤمل ابدا ان يتجه اليه المجتمع الصهيوني بقواه الرئيسية ، ما دام لهذه القوى خيار آخر . لذا فان " خط الفصل الحقيقي في الحياة السياسية الاسرائيلية ليس ذاك الذى يضع اليسار في مواجهة اليمين بل ذاك الذى يفصل بين الصهيونيين والمعادين للصهيونية(

لا يعنينا كثيرا ، والحالة هذه ، ان نحصي مواقف الاحزاب الصهيونية من التوسع فالخلاف بينها لا يتناول المبدأ . . . بل هو ينحصر في الاسلوب الذى يجنب الكيان الصهيوني مخاطر وضعه الجديد دون ان يمس تصميمه على تدعيم اسسه بمد حدوده وفق المنطق الذى حكم قيامه عام ١٩٤٨ ، وهو منطق لا يجد - سوى الاستحالة الخارجية - ما يدفعه الى القبول بالحدود التي كانت لما بات يسمى اليوم " اسرائيل الصغرى " هذا الخلاف يمد جذوره في تاريخ الحركة الصهيونية كله ، منذ ادركت ان الارض التي وقع عليها الاختيار لاقامة الدولة اليهودية ، يقيم عليها قوم اخرون . والذى ينبغي وله بادئ ذى بدء هو ان التمييز بين " معتدلين " و " متطرفين " او بين عقبان وحمائم ، امر غير ذى محل . " فالتسليم بالاستيطان الصهيوني وما يتبعه من انكار للحقوق الوطنية العائدة الى شعب فلسطين العربي يعني ان التمييز يتناول مدى الاستعمار (اسرائيل الصغرى او الكبرى) او ، على الاصح مراحل تحقيقه ، فيكون على اتباع الصهيونية السياسية ان يختاروا الشكل الذى ينبغي ان يكون عليه حرمان الفلسطينيين العرب من حقوقهم الوطنية : أيكون بالسيطرة السياسية المباشرة على العرب الذين يصبحون اذ ذاك جزءا من الدولة اليهودية ولكن كمواطنين من الدرجة الثانية ، ام يكون بطردهم من البلاد "(٣)

هكذا يكون اقرب الى الواقع ان نقر التمييز الذى يعتمده " لوبل " بين " النزعة الارضية " و " النزعة السكانية " في الوسط السياسي الصهيوني . اما اصحاب النزعة الثانية فبينهم اناس ينتمون الان الى احزاب مختلفة ويصنف بعضهم بين " المعتدلين " وبعضهم الاخر بين المتطرفين ، من ابا ايبان وزير الخارجية الى بنحاس سابير وزير المالية = وهما اقرب سياسة صلة الى الاوساط الرأسمالية الامبريالية الاميركية خاصة - الى بن غوريون رئيس الوزارة الاسبق وابرز صانعي الدولة الصهيونية . فالاخير يرى ان الدولة الصهيونية محكوم عليها بالضياع في الخضم العربي ان لم يزدد عدد سكانها اليهود ازديادا كبيرا من الهجرة اليهودية اليها ومن رفع نسبة التوالد لدى المقيمين اليهود . ويستتبع ابعاد هذا الخطر طبعا توثيق علائق مع البلدان الرأسمالية الغربية التي يريد بن غوريون لاسرائيل ان تكون على صورتها ومثالها لان هذا ايضا يحمي الشعب اليهودى من اخطاره سمائه في الشرق . والاول - ابا ايبان - تجهر وظيفته على خمس النوايا الاسرائيلية في مجال العسكرى - وهي نوايا لا يخفيها بن غوريون - لكنه يجعل لمرامي الصهيوني العجوز في الحفاظ على التفوق الصهيوني تداداً ذا طابع استعمارى جديد . فيقترح ، مثلا ، امام المجلس الاوروبي في ايلول ١٩٦٧ - بعد الحرب بثلاثة اشهر - اقامة اتحاد اقتصادى يضم اسرائيل والاردن ولبنان . (هذه المرة تسمع اسرائيل تسمي بلسان رجل واحد مصلحتها وحلفاءها سوية) . مكان الشعب الفلسطيني في كل هذا فيتفق عليه مع الحكم الاردني ، الذى مازال مؤهلا للاضطلاع مرة اخرى بمهمته القديمة : ع الحركة الوطنية الفلسطينية بمصودة مباشرة ، تقدمها له اسرائيل هذه المرة ، ويسهل تقديمها العبور من طور الهدنة السابق طور التعاون على ملء صعيد . ولا نظن ان ايبان او بن غوريون يكونان ان تبقي اسرائيل في حوزتها على المناطق ذات الاهمية ستراتيجية او الدينية . فالاول هو الذى يتولى الدفاع عن حدود اسرائيل الجديدة امام المحافل الدولية معلنا ان العودة حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ امر غير وارد على الاطلاق ، مشيرا الى ان المفاوضات المباشرة التي تريد اسرائيل عقدها

نشير هنا الى ان المجتمعات عادة تثبت الايديولوجية الموافقة لطور نموها ونمط تركيبها . اما المجتمع الاسرائيلي فقد تمثل على ايديولوجية كانت قد ثبتت قبل وجوده من هنا أن دور الايديولوجية فيه مختلف اصلا عن دورها في المجتمعات العادية .

انظر ناتان فايشتوك : " الصهيونية ضد اسرائيل " (بالفرنسية) - دار ماسبيرو - ص ٣٥٧ .

انظر ايلي لوبل : مقدمته لكتاب صبرى جريس : " العرب في اسرائيل " (بالفرنسية) - دار ماسبيرو - ص ٣٧ والفقرة التالية من بحثنا تلخص الصفحات الرائعة التي يخصصها لوبل لهذه النقطة .

بين اطراف النزاع ينبغي ان تؤدي الى احتفاظها بقسم من هذه المناطق لا يجيز الذكاء الدبلوماسي تسميتها كلها قبل بدء المفاوضات ولا فضح الشروط الاخرى التي ستحكم علاقات اسرائيل المقبله بالمنطقة العربيه . والثاني بن غوريون يخشع امام حائط المبكى ، بعيد احتلال القدس القديمة ليقول : " ان اغلى اماني هي ان ارى اسرائيل ذات يوم ، يقطنها ثلاثة ملايين من اليهود " (١) . فهو يعلم ان وفره السكان اليهود هي الشرط الاول للابقاء على نوع خاص من العلاقه بينهم وبين العرب خاصه اولئك الذين ورثتهم اسرائيل من الاحتلال الجديد ، وهو لا يزور الحائط للصلاه ، بل ليظهر ان الدولـــة الصهيونية استكملت واحدا آخر من عناصر قاعدتها الايديولوجية حينما جعلت القدس " الموحدة " عاصمه لها . هذا عدا النزعه السكانيه .. اما النزعه الاخرى — الارضيه — فتجد لها ايضا ممثلين سياسيين في الاحزاب الصهيونيه كافه واصحابها هم الذين يعتنون — ظلما — " بالتطرف " . ونجد تعبيرا صافيا عنها على لسان مدير التوطين في الوكاله اليهودية "فايتز" اذ يقول : " ان الحل الوحيد الممكن هو خلق فلسطين — فلسطين الغربيه على الاقل — دون عرب .. وليس ثمة من وسيله لتحقيق ذلك الا نقل جميع العرب الى البلدان المجاوره بقطيعهم جميعا خارج هذا المكان . فلا ينبغي ان تترك قرية واحدة ولا قبيله واحدة وينبغي لهم ان يتجهوا صوب سوريا والعراق " (٢) هذا وتتعدد اشكال النزعه الارضيه من الدكتور الداد مدير القسم الديني في الاذاعه الاسرائيليه الذي يريد خارطة لامبراطورية اسرائيل تضم لبنان كله واللاذقية وحلب ود مشق وعمان والعقبة وسيناء والضفتين الشرقيه والغربيه من قناة السويس حتى صب النيل الشرقي ، الى فون فيزل ، من حزب حيروت ، وهو يضارع صاحبه الاول في قوه الشهيه ، الى الذين يكتفون بالابقاء على حدود ما بعد الحرب الاخيره — وهم الاكثرية — الى المابام " اليسارى " الذي يقف طموحه عند ضم القدس القديمة وقطاع غزة وتعديل الحدود مع الاردن بعد " تسليمه " اكريه الفلسطينيين الموجودين في الضفه الغربية . وحين يشير المابام الى الحقوق السياسية التي ينبغي ان تعطى للفلسطينيين العرب داخل الحدود الجديدة يقول ان هذه الحقوق ينبغي ان تكون مساوية لحقوق العرب الموجودين في اسرائيل منذ سنة ١٩٤٨ اى انها لا يمكن — بطبيعه الحال — ان تساوى الحقوق التي يتمتع بها اليهود . والاجماع قائم في اسرائيل حول هذه النقطة لان اعتبار العرب اصحاب حق في المواطنيه الكاملة يعني ، على مدى متوسط ، تحويـــل اسرائيل الى دوله شرقيه ، وهو امر يأباه تعلق الصهيونية بمثال الدولة الغربي (٣) اما القلة التي تشعر بانه اذا كان لابد من قبول بعض العرب في اسرائيل ، فمن الاصلح مساعدتهم على الذوبان في الاكثرية اليهودية فهي تتسائل بلسان بارلي في صحيفة دافرا : " هل ترضى الانسانيه ، وهل ترضى مصلحة اسرائيل " بمنع العرب من ان يصبحوا يهودا ؟ ولا يخلو هذا الاتجاه من امتداد على صعيد السياسه الخارجية . فبينما يقول اصحاب النزعة السكانيه بالتفاوض مع الاردن لحـــل مشكلة الفلسطينيين بفعل البركه الاميركيه ، يرى اصحاب النزعة الاخرى ، ومن بينهم مثلا شمعون بيرس وزير الدفاع المساعد عام ١٩٥٦ ، ان الحل ينبغي ان يبحث عنه لدى الفلسطينيين انفسهم وهذا لا يعني باى حال اعاده النظر في اساس المشكلة التي يخلقها استمرار الكيان الصهيوني بل خاصه ابعاد الدول الكبرى والامم المتحده والدول العربيه نفسها عن حلبة النزاع بالاتفاق مع بعض الاعيان الفلسطينيين على اقامه دوله فلسطينيه خاضعه لاسرائيل في جزء من الضفه الغربية على ان تحتفظ الدوله الصهيونيه بسائر الاراضي المحتله متعلله في هذا السبيل بدواعي الامن وحريه الملاحه الخ .. بعد ان تجرد المشكلة من عنصرها المتفجر (الفلسطيني) او اذا تعذر هذا فالسيطره المباشره الكامله على الفلسطينيين المقيمين ضمن الحدود الجديده .

عاتان النزعتان تتقاسمان تصور الصهاينه لدولتهم وللمضغة التي يخلقها لهم عاجس الوجود الفلسطيني على الارض التي احتلوها ومن حولها . فكيف تؤثران في صياغه الحلول التي يتداولها ، منذ حرب حزيران ، اعضاء الحكومة الاسرائيلية ؟ وهنا حتى الان طبيعه المفهوم التي تشغل الحكم الصهيوني : ان يبقى للدوله وجهها اليهودى وان تحفظ سمائها الغربية شيا مع مصادر الطبقه المسيطره فيها وهي ترفض الذوبان في المشرق وان يظل مستوى الحياه فيها قريبا منه في الدول صناعية مما يدفعها الى اعتماد متزايد على الامبرياليه الاميركيه عبر الجاليه اليهوديه في الولايات المتحده ، وان تواجه يرا لا آخرا مخاطر الثوره الفلسطينيه ، هذه المفهوم ، بشكل مشروع ايغال الون مواجهه لها تطمح الى التوفيق بيـــن زعتين المذكورتين اعلاه ولو ادى بها ذلك الى تصور حل يكاد يكون اشد تعقيدا من المشكلة نفسها . ونحن ننقل هـــذا شروع كما يلخصه ايلي لوبل رغبه في بيان التخبط الذي توقع فيه العصبيه الصهيونيه وما وراءها من مصالح ، حكام اسرائيل :

---

(١) انظر : مارك عيليل — اسرائيل تحت خط السلام — (بالفرنسيه) دار فايار — ص ١٢ .

(٢) انظر : لوبل — المصدر نفسه — ص ٤٤ — نشر هذا التصريح في صحيفه دافار وهي صحيفه لها في اسرائيل مكانة الاهرام في مصر ، وصاحبه كان صديق اشكول ومستشاره الشخصي حتى وفاة هذا الاخير .

(٣) عالك مصادر عدة تصف الاضطهاد الذي يتعرض له العرب في اسرائيل . انظر خاصة : كتاب صبرى جريس الذي اشرنا اليه وفصلا في كتاب فاينشتوك بعنوان " الاقليه العربية " ص ٣٧٣ — ٤٠٩ — وآخر في كتاب عليل بعنوان : " يهود اليهود " ص ٢١٢ — ٢٤٢ .

يعرض آلون" ان تحتفظ اسرائيل بخط وقف اطلاق النار في حزيران ١٩٦٧ كحد شرقي لها (خطوة في اتجاه النزعة الارضية) . خلف هذا الخط والممر الاسرائيلي الممتد على محاذاته ، وعرضه ١٥ كم تقريبا ينشأ قطاع عربي في قسم من الضفة الغربية . هذا القطاع لايكون له حدود مشتركة مع الاردن لكنه يستطيع الاختيار بين اقامه علاقات سياسية مع الاردن (الموالي للولايات المتحدة الاميركيه) وبين الحكم الذاتي (خطوة في اتجاه الفدراليين (٢) الاسرائيليين) . ولما كانت طرق عده تعتبر استراتيجية - فيلزم اذن ان يبقى تحت الرقابة - تجتاز القطاع ، ومنها خاصه طريق القدس - البحر الميت ، وجب النظر في ضم القسم الجنوبي من الضفه الغربيه (جنوب شرق القدس) . ويقترح ان يجمع في هذا القطاع اللاجئون الذين يعيشون في المناطق التي سوف تضمها اسرائيل وفق هذا المشروع (خطوه في اتجاه القائلين بالاغلبيه السكانية) هكذا يبقى ضمن الحدود الاسرائيليه ٦٥٠٠٠٠ عربي عوض ٣٠٠٠٠٠ قبل حزيران ١٩٦٧ ومليون وثلاثمائة الف بعد تموز ١٩٦٧ . والمأمول هو ان الاساليب التي وضعت للسيطرة على الاقلية العربيه القديمة في اسرائيل سوف تظل نافعه وان كان حجم هذه الاقلية قد ارتفع الى الضعفين ".

ذاك هو مشروع آلون الذى لم تخف بعض صحف اليمين العربي استبشارها به يوم كشف النقاب عنه . وهو قد استوجب باعتداله ( ) ردا من دايان جاء بعد اسبوعين من نشره . هذا الاخير ، رغم فقده احدى عينيه ، يرى الامور بوضوح .. فهو يعتقد بان العرب لا يستطيعون القبول باقل من حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ . وهو يرفض قاطعا قرار مجلس الامن (تشرين الثاني ١٩٦٧) . وهو لا يرتضي عن اسرائيل الكبرى بديلا بل ان اسرائيل الكبرى هي عنده مطمح له مابعده . وهو يرفض انشاء دولة فلسطينيه في الاراضي المحتله ايا كان الاسم الذى يطلق عليها . وهو مستقر الصناعة على ان اسرائيل وحدها - لا الاردن - قادره على مواجهة المقاومه الفلسطينيه وتصفيتها ، مهما كانت الكلفة وهو لا يرى مصيرا للعرب المقيمين في اسرائيل الكبرى هذه الا الخضوع الكامل لحكمها ، وهو يمنحهم حق اداره شؤونهم الذاتية ويلبى الاطعام عليهم الجيش الاسرائيليه . وهو يعتمد في كل هذا على تأييد ٦٢٪ من الاسرائيليه في مقابل ١٢٪ يؤيدونه آلون . وهو المرشح الاقوى لقيادة اسرائيل بعد اعتزال الرئيسه العجوز التي لا يخفى اعجابها به ولا يخفي تأييده لها فهل يصح القول من بعد ، ان بين حكام اسرائيل عقبانا وحمائم ؟ لعل الاولى ، كما يرى لوبل ، ان نميز اذا اضررنا على التمييز ، بين عقبان وصقور " (٣) .

اذن فالتجاذب بين اتجاهات الوضع السياسي في اسرائيل محصور بين جدارين يكادان يكونان متلاصقين . وهذا الوضع بتركيب عناصره لا قرارات مجلس الامن ولا المفاوضات بين الدول الكبرى هو الذى يحكم بموقف الدوله الصهيونيه سوف يظل يتحكم به ما دام لهذه الدوله ايديولوجيتها وتكوينها الاجتماعي الخاص وعلاقاتها بالخارج وقوتها العسكرية . لدرس العربي في هذا الشأن يغفي ان تحسن قراءته . فان هزيمه حزيران نفسها عجزت عن اجبار الجماهير العربية على التسليم بشرعيه الكيان الصهيوني ما دامت هذه الجماهير ترى التناقض بين مصالحها الرئيسيه وبين القبول بهذا الكيان ، ان تنظر الى قرار ما يتخذه مجلس الامن او توخذ ، مثلا ، بعضويه اسرائيل في الامم المتحده . الا ان الوضع السياسي اسرائيل ليس معلقا في الهواء ولا هو يرد الى نوايا "خبيثه" تسرح وتمرح في فكر دايان او سواه من قادة الاسرائيليين ، بل ويقوم على قاعدة شديدة التماسك عناصرها هي السمات التي تصطبغ الدولة الصهيونية وجهها ، وصلابتها هي ، على وجه التحديد ، ما يقرب مواقع الساسه ، على اختلافهم ، بعضها من بعض . هذه القاعده هي التي ينبغي علينا ان شئنا تعيين الموقع الذى تحتله اسرائيل في المعركه المستمره .

ب - اسرائيل واسماعيل

اشرنا في ما سبق الى ان الصهيونيه بما هي مبدأ وايديولوجيه ، لا تحتمل بقاء الفلسطينيين العرب بين حدود الدولة التي اقامتها . وهي ، ان الجئت الى احتماله ، فلا تقبل ان يكون عاملا يطعن في فضاء الطابع اليهودى الذى تريده لهذه الدولة . ثم انها بحكم تصورها لقيام اسرائيل على ان تحقيق للعودة الى ارض الميعاد ، ترى في استيلائها على اى شبر من ارض هو ذات يوم تحت سلطه الدولتين اليهوديتين القديمتين اسرائيل ويهوذا ، امرا لا رجوع عنه لانه تحقيق للوعد (٤)

---

(١) طرح المشروع موه اولى امام اللجنة الادارية الموسعة لحزب العمل الاسرائيلي في ٦ حزيران ١٩٦٨ - انظر لوبل - المصدر نفسه ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) تمثل هؤلاء الفدراليين هو النائب الصحفي اورى افنيرى . وهم يقولون بانشاء اتحاد فدرالي في الشرق الاوسط يضم الساميين جميعا اى العرب واليهود لكنهم فئه ذات وزن ثانوى . انظر فايشتوك - المصدر نفسه - ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٣) انظر : المصدر نفسه ص ٨٥

(٤) هنالك فئه من اليهود الاتقياء - يقيم بعضهم في القدس - يرفضون الاعتراف باسرائيل الحاليه على انها تحقيق للميعاد . وذلك لانها انشئت بوسائل غير الهية قبل نزول المسيح . ولا ريب في انهم على حق يرفضون الخلط بين المسيح و.. بن غوريون ، انظر : جورج فريدمان : نهايه الشعب اليهودى ؟ (بالفرنسية) - سلسله افكار - ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

ولا يختلف الاتجاه الملحد في الصهيونية من هذه الزاويه — يسارا كان ام يمينا — عن الاتجاه الديني الا في تقديم الاستيطان اليهودى على انه لم لشتات المغتربين على ارض لهم حق تاريخي فيها . ولا نريد هنا ان نؤرخ للعوامل التي نشأت عنها الصهيونية فاعلنتها هذا الوجه . انما ينبغي التشديد على ان المعضلة تبدأ عند هذا المبدأ وان كان يجد مبرره في ذاته بل في جملة المصالح التي التفت حوله وتطورت كثيرا منذ نشوئه ، وهي مصالح سنعرض لوضعها الراهن في سياق البحث . والذى لابد من التذكير به هو ان الصهيونية حين مرت من طور التبلور الى طور التحقيق وجدت نفسها امام وضع لم تكن قد ادركت خطورته من قبل ولم تستطع التنبؤ بما سوف تلقاه منه في المستقبل : ذلك هو وجود مئات عديدة من الوف العرب فوق الارض الفلسطينيه . ما الذى كان يمكن ان تفعله الحركه الصهيونية بهؤلاء الناس الذين جاؤوا ليعيشوا الى صفاء فكرتها ويجعلوا وعد الله عسير التحقيق ؟(١) الثابت ان الصهاينة حاولوا بناء مجتمع معزول عنهم — تمهيدا لاخراجهم — منذ بداية الاستيطان الصهيوني . وكانوا يجتنبون ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، تشغيلهم في المزارع التي انشأوها او — على وجه اعم — جعلهم عنصرا داخلا في تكوين هذا المجتمع الجديد الذى اخذ يقوم على اراض اشتريت في معظمها منهم . ولقد كان هذا المنحى في العزل بين العنصريين هو ملمح للمجتمع الصهيوني تحاشي الانهيار الفورى ، عام ١٩٤٨ ، حينما استقل بارض اخرج منها حوالى نصف سكانها . منذ ذاك اخذ المحتوى العنصرى للايديولوجية الصهيونية يتبدى اشد جلاء من ذى قبل . فاسرائيل ، اذ اضطرت الى قبول اقلية عربيه بين حدودها كان تعداد عام ١٩٤٩ يبلغ ٢٢٥ الفا لم تكتف بسلب معظم العقارات التي كانت تملكها هذه الاقلية ولا ابقائها تحت حكم عسكرى بالغ الشدة ولا بممارسه اساليب التمييز على اختلافها ضدها بل ذهبت الى حد اعتبار عشرات الالوف من بين ابنائها " غائبين " لمجرد انهم غادروا ، لسبب او لاخر ، حدود اسرائيل التي عينت عام ١٩٤٩ ، بعد اليوم التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٧ (يوم التقسيم) أكانوا قد عادوا الى بيوتهم بعد هذا ام لم يعودوا . اما ما يجعل الغائب ، وفق هذا التعريف ، فهو انه يفقد كل حق في املاكه ولا يعود له من حق الا ما تعطيه اياه الدولة . والواقعة رمز قد تكون اعم منها كواقعة (٢) فالشعب الفلسطيني لايمكن ان يكون موجودا ما دامت فلسطين ارض الشعب اليهودى ، الفلسطيني غائب حتى ولو كان مقيما في اسرائيل .. عنوة وان ألرت ..

بيد ان هؤلاء الغائبين بات لهم منذ عام ١٩٦٧ حضور مزعج . فثلثاهم ، تقريبا يقيمان اليوم على الاراضي الواقعة تحت السلطة الصهيونية ، وهم فوق ذلك عصاه متمردون . والثلث الثالث " يحضر " احيانا بعض من ابنائه الموزعين على الاقطار المجاورة وتحت ابط الواحد منهم لغم او بندقيه . فكأن حرب ١٩٤٨ كانت " نفيا " للشعب الفلسطيني من بلاد اسرائيليين ، فجاءت حرب ١٩٦٧ لتكون " نفي النفي " وفق التعبير الشائع عند اصحاب الجدل . والحكم الصهيوني مضطر بحكم ايديولوجيته ولاسباب اخرى اقرب علاقة بهذه الدنيا من الايديولوجية ، سوف تعود الى ذكرها ، للبقاء على الارض التي احتلها والتي شاءت الصدفة ان يكون لمعظم مناطقها اسماء عبرية . والبقاء في الارض يعني هذه المرة البقاء مع سكانها ، لان اكثرية هؤلاء اصروا ، رغم كل ماتعرضوا له من فنون الاكراه ، على ملازمة بيوتهم . والمقيمون منهم بين خطوط وقف اطلاق النار الحالية يقدرون — ومعهم الاقلية العربية القديمة — بـ ١ر٣٨٥٠٠٠ نسمة تقريبا يقابلهم ٢ر٣٦٥٠٠٠ من اليهود اى بحوالى ٣٧٪ من سكان " اسرائيل الكبرى " هذا وهم يتكاثرون على نحو يندر مثيله . فيزدادون بنسبة تصل (عام ١٩٦٥) الى ٤ر٥٨ ٪ وترتفع قليلا كل عام بينما تهبط نسبه التناسل عند السكان اليهود من ٢ر٦٥ ٪ عام ١٩٥٥ الى ١ر٦١ ٪ عام ١٩٦٥ . هذه الوثيرة كفيله بجعل السكان العرب اكثرية في البلاد بعد عشرين سنة (٣) ولا شك في ان هجرة اليهودية المرتقبة تعدل قليلا هذه الصورة لكن التعديل طفيف . فبينما كان معدل الهجرة السنوية يصل الى ٦ الف نفس سنويا بين ١٩٤٨ ومطلع الستينات ، عادت هذه الهجرة فانخفضت الى ٢٣ الفا سنة ١٩٦٥ ثم هبطت الى النصف تقريبا سنة ١٩٦٦ — اى التي لايطرح منها عدد الذين يهاجرون من اسرائيل — سنة ١٩٦٦ الى ١٣٤٥٠ نفسا فقط ، قام بمثلهم تقريبا بهجرة معاده ، بحيث قاربت الهجره الصافية الوصول الى الصفر .. ولقد عاودت النسبه الارتفاع شيئا ما بعد الحرب الاخيرة حيث عدد المستوطنين الجدد بين شهر كانون الثاني وشهر تموز عام ١٩٦٨ حوالي الفين في الشهر الواحد لكن هذه الزيادة ظاهرة معتاده بعد كل حرب وهي عادة قصيره الاجل (٤) فلا غرو اذن ان لم تواجه الدوله الصهيونية وضعها الجديد بكثير

---

(١) يروى ان ماكس نوردو احد قاده الحركه الصهيونيه البارزين في مطلع هذا القرن حينما علم للمره الاولى بوجود السكان العرب في فلسطين جرى الى لقاء هرتزل وصاح فيه : "لم اكن على علم بهذا فاننا نرتكب ظلما" . انظر : فريدلوفسكي : اسرائيل وارض اسرائيل — مقال في " الازمنه الحديثة " — العدد الخاص بالنزاع العربي — الاسرائيلي ١٩٦٧ . ورغم ان ابنه نوردو او افكوت في عدد لاحق من المجلة وقوع الحادثة الا انها تنم عن الخفة العنصرية التي كان الصهاينه يواجهون — اولا يواجهون بها — مسأله الوجود العربي في فلسطين .

في اسرائيل اليوم حوالى ٧٥ الفا من هؤلاء " الغائبين " وبعض النواب العرب في الكنيست " غائبون " ايضا . انظر مثلا : خليل — المصدر نفسه — ص ٢٢٧

انظر مثلا : لوبل ص ٤١ وفايشتوك ص ٥١٩ . وتقديرات الذاتيين في هذا الشأن متقاربه جدا وان لم تكن مماثله .

(٢) الراجح ان المسلك العنصرى الذى تسلكه الانظمه العربيه والمسلك الذى تحدثه هزيمة هذه الانظمة لدى الجماهير ايضا يتضافران على تشجيع هجره اليهود العرب من بلادهم ، فخلال النصف الثاني من عام ١٩٦٧ غادر الاقطار العربية ٢٤٠٠٠ يهودى لا يحبون اسرائيل كثيرا بدليل ان معظمهم استوطن في بلاد سواها .

من واحة المال وان علم القادة الصهاينة كلما خطر لهم ان " الغائبين " الذين حضروا - حضر ثلثاهم فقط - قد يحولون هذه الدولة الى دولة عربية - يهودية خلال جيل واحد ، بفعل مقدرتهم على التناسل ليس الا .

لو كانت الحال على هذه البساطة ، اذن لوجد الفلسطينيون العرب من ينصحهم بالانتظار عشرين سنة اخرى وامرهم لله . الا ان الكثرة لم تكن في يوم من الايام وحدها ضمانا للحقوق ووسيلة موثوقة لتقرير المصير . والجديد الذى اتت به حرب حزيران هو قبل كل شئ ، انها بدأت تجريد المجتمع الاسرائيلي من الدروع التي كانت تحميه طيلة عشرين سنة ، تعتبر خطرا يرصد كل مستعمر (بكسر الميم) وتسمح له بالعيش ، الى حد ما ، وكأنه مجتمع طبيعي . هذا الخطر كامن في ملاقاته الذين استعمروا ارضهم وجهالوجه . فهو لم يستغلهم ، طيلة هذه السنين ، بل نما في معزل عنهم ولم يكن يريد ان يعلم ان كانوا يعيشون ام يموتون حيث هم وكان قادرا على التجاهل . وهو لم يواجههم بين حدوده بل واجه دولا من حوله ، كان عجزها الصاخب يتيح له بدون عسر ، ان يخصها امام نفسه وامام العالم في موضع المعتدى . كان الصهاينة قد اخرجوا اصحاب الارض منها مرة واحدة ثم استراحوا . وظل التهديد المتراءي اليهم من كل صوب يفيدهم كثيرا ولا يؤذيهم الا قليلا ، ما داموا على ثقة من قوتهم . اما اليوم فقد تبدلت الحال . المرة الواحدة باتت مرة كل يوم . كبت شديد . وهي امور لابد من تعاطيها يوميا ولا مفر من التسليم يوميا بانها لاتريد الحال الا سوءا . ومازال الصهاينة مصممين على البقاء في الارض التي احتلوها - وهم مصممون - وما زالوا مصممين على ان يظلوا صهاينة ، اى مازالوا مصممين على منع الشعب الفلسطيني من تحقيق وجوده الوطني على ارضه - وهم مصممون - فانهم لا يستطيعون الا الانتقال من صيغتهم الاولى في الاستعمار - صيغة الاستيطان بعد طرد الاهلين - الى صيغة اخرى لعل اقرب مثال عليها هو استعمار البيض لافريقيا الجنوبية (١) مثل هذا الاتجاه سيتضح اكثر فاكثر كلما احتدم اوار الثورة الفلسطينية . وهو سيسقط اقنعة كثيرة كان طغيان الرأسمالية على المجتمع الصهيوني قد امعن فيها فخرا ، وهي تشكل سويه ، مايسمى " بالمعجزة " الاسرائيلية . وهو الاتجاه - سيؤدى بجمهور الاسرائيليين الى عاوية من الانحلال تحفرها العنصرية تحت اقدام اصحابها حينما تجبر على الاسفار عن وجهها الصريح . لكن الارجح الا يدفع المجتمع الصهيوني على نفسه الا حينما تصل الثورة الفلسطينية الى درجة عالية في التأثير العسكرى عليه والى مستوى من النضج السياسي الثورى يستطيعان ابراز الخطل الجذرى الذى تأسس عليه الوجود الصهيوني في فلسطين . ومازال على الثورة الفلسطينية شوط طويل تمشيه قبل ان تبلغ هذه الغاية القصوى .

ج - الدولة والثورة

يحصر القارئ ، دون صعوبة ، تصور العامل الايديولوجي وحده - وهو الذى عرضنا له تحت العنوان السابق - من تفسير الموقف الذى تقفه اسرائيل في المواجهة المستمرة بعد حرب حزيران . لكن لهذا العامل ، في حالة اسرائيل ، فعالية قوية يستمدها من تاريخ طويل معقد هو تاريخ المسألة اليهودية . والذى زاد هذه الفعالية قوة ، بعد قيام اسرائيل هو كون المواجهة بينها وبين العرب ، في وجهها الظاهر ، مواجهة سياسية - ايديولوجية قبل كل شئ (٢) يبقى ان العامل المذكور لايكفي تفسيرا . ولعلنا نسد قليلا من عجزه اذا اضفنا اليه النزوع الطبيعي لدى كل بنيه اجتماعية قائمة الى الدفاع عن وجودها او ، ايضا ، عن توازنها . فاسرائيل الان واقع قائم " - كما يقول محمود رياض ، ولكن لاغراض اخرى - وهي ترفض منذ اكثر من عشرين سنه ان تعترف بحقوق الشعب الفلسطيني في وطنه . وكل اعتراف بهذه الحقوق يعرض البنى التي تتألف منها الدولة الصهيونية لزلزال قد يغير شكل الارض من تحتها . الا ان ثمة اشياء اخرى لابد ان تقال ، ان شئنا الوصول الى تفسير مقنع . هذه الاشياء تتناول تركيب المجتمع الاسرائيلي ونمط تأثره بالمحيط العربي اولا وعلاقة اسرائيل بالامبريالية العالمية التي تقودها الولايات المتحدة ثانيا . فلنعرض الان للنقطة الاولى (٣) .

يعرف المجتمع الاسرائيلي تناقضات عميقة هي ، في صورتها المجردة ، تناقضات المجتمع الرأسمالي . لكن لهذه التناقضات خاصات تضاف الى العلاقات العادية بين الطبقات فتعطيها صيغة فريدة . فوسائل الانتاج الصهيونية نمت في معظمها قبل ١٩٤٨ تحت شعار الملكية الجماعية . وكان هذا طبيعيا لان الاستيلاء على الاراضي واقامة المؤسسات كانت تنفذ هما ادارات صهيونية عامة كالوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودى واتحاد النقابات الصهيونية الذى تأسس في مابعد هما بيوتات يهودية ضخمة اخذت على عاتقها مساعدة المهاجرين في الاستيطان (مصرف روتشيلد خاصة) . ثم ان " الصفوة " الصهيونية

---

(١) النظام القائم في اتحاد جنوبي افريقيا (الابرتايد) يقوم على فصل مرافق الحياة الاجتماعية التي تخص الاكثريه السوداء (مناطق السكن ، المدارس ، النقل الخ) عن تلك التي تخص الاقلية البيضاء . هذا الفصل لايحول دون استغلال بشع للاولى من قبل الثانية ولا دون احتكار البيض لمقاليد السياسه والاقتصاد في البلاد . ويرى بعض الثوريين الاسرائيليين (لوبل - فاينشتوك) ان الحكم الصهيوني يتجه نحو انشاء نظام مشابه في فلسطين المحتلة . هذا ولاسرائيل احسن العلاقات مع افريقيا الجنوبية وهي واحدة من دول قليله جدا تساند نظام المستعمرين البيض في الامم المتحدة .

(٢) نقصد بالمواجهه الجولات الحربية التي جرت بين الطرفين منذ عام ١٩٤٨ بل الجانب المرئي من التناقض الذى يجعل كلا منهما يواظب على رفضه لموقف الاخر .

(٣) نظن ان كتاب جورج فريدمان الصادر عام ١٩٦٥ - المصدر المذكور آنفا - مايزال افضل المراجع التي وصلت الى يدنا حول المجتمع الاسرائيلي وتناقضاته الداخليه رغم ان الكاتب لا يكاد يفقه شيئا من طبيعة المشكلة الفلسطينية .

الاولى اتخذت في امكنه عديده منذ مطلع القرن ، اشكالا اشتراكية كانت ردا على البؤس من ناحيه وعلى التهم اللاسامية التي كانت تؤول دور اليهود التاريخي الذى ورثوه من العهود الاقطاعيه فتنسب الى " طبيعتهم " عباده المال والعجز عن العمل المنتج . غير ان القطاع الجماعي الذى ازدهر ، في الزراعه خاصه ، اثناء تلك المرحله والقطاع العام الذى انشئ بعد سنه ١٩٤٨ المليئت ان نخرتهما الرساميل الخاصه التي اخذت تتدفق على البلاد في اعقاب اعلان الدوله . حتى ان القطاع الخاص امسى اليوم يسيطر على ٩٣٪ من مؤسسات الصناعه يعمل فيها ٧٦٪ من الايدى العامله الصناعيه . ومازال القطاعات العام (الدوله) والجماعي (النقابات) يقدمان قسطا وافيا من الانتاج الوطني الصافي (حوالى ٤٢٪ تقريبا عام ١٩٥٩، الا ان دورهما — دور الاول خاصة وهو مرتبط بالثاني — قد تحول فهم القطاع العام اليوم اخذ يتوجه شيئا فشيئا نحو "تعويم "المؤسسات الخاصه التي تشكو من ضائقه ومساعده القطاع الخاص في الحفاظ على توازنه وازدهاره . اما القطاع الجماعية فلم يعد يقطن فيها الا ٣ر٣ ٪ من السكان وهي تقدم ٣ر٣ ٪ من الانتاج الصناعي في اسرائيل واقل بقليل من ثلث الانتاج الزراعي ، وقد دخلها الاستغلال (العمل المأجور) من الباب الواسع ، ولم يعد لها من وزن سياسي سوى كونها في كثير من الاحيان قوى مسلحة تتولى حماية الحدود ومتاحف تحفظ فيها بقايا خدمه السياحة — بقايا " روح الريادة " التي وصلت الى اوجها منذ نصف قرن .

في هذا المجتمع تشكل الطبقه العامله ٣٠٪ من السكان ويشكل الفلاحون ٢٠٪ تقريبا ويملك ١٠٪ من السكان نصف الدخل الوطني (عام ١٩٥٦ وقد زادت حصتهم زياده ملموسة في السنوات التاليه) (١) لكن توزيع الدخل لا يتبع معيار الانتماء الطبقي فحسب ، لا عوامل المكانة الاجتماعية . فهذان الامران خاضعان ايضا لاصول المستوطنين القومية اى لمواقع البلدان التي قدموا منها الى اسرائيل ، والتقسيم في النهاية تقسيم طائفي يتجلى في التمييز بين اليهود الغربيين التابعين للمذهب الاشكنازى) واليهود الشرقيين (التابعين للمذهب الاسفرادى) . وقد كان متوسط دخل الشرقي عام ١٩٦٤ لا يتجاوز ٤٩٪ من متوسط دخل الغربي . وكانت نسبة الشرقيين بين موظفي الدولة تصل الى واحد بالمائة رغم ان عددهم يفوق ٦٠٪ من مجموع السكان (١١) فالدولة اذن وكذلك الملاك السياسي والملاك النقابي في يد الغربيين وليس في اسرائيل من هو اسوأ حالا من اليهود الشرقيين الا ابناء الاقلية العربية . هؤلاء اليهود الشرقيون هم اقل اليهود ، في اسرائيل ، تشبعا بالايديولوجية الصهيونية التي لم تكن بلدانهم مشرعه الابواب في وجهها . لكن تحطيم لوضعهم الجديد — وهو شيء — يعود الى ضيق الافاق التي كانت مفتوحه امامهم في بلدانهم الاصليه المتخلفه . ثم ان له اسبابا اخرى لهم هي التي تحفظ بكثير من النجاح استقرار المجتمع الاسرائيلي (٢) .

ماهي هذه الاسباب ؟ اين تقع الضوابط التي توفر لجسم يفخره من التناقضات ما ينخر المجتمع الاسرائيلي مظاهر الصحة والتوازن ؟ ثم عامل "الخطر العربي" اولا وعامل ارتفاع الدخل العائد الى المساعدات الخارجية ثانيا ، وهما ما سنعود اليه . لكن الاداة التي تتولى كبح الصراع الاجتماعي هي البيروقراطية الضخمة الاتساع ، وهي ذات فروع ثلاثة متداخلة :

الاجهزة التابعة مباشرة للحركة الصهيونية العالمية (اجهزة الوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودى) واجهزة الدولة التي يتضاءل حزب العمل الحاكم في معظم خلاياها واجهزة اتحاد النقابات الصهيوني (الهستدروت) . فالاجهزة الاولى تتفق مع الدولة قضايا التمويل والاسكان والتعبئة وتملك نفوذا عميقا في اوساط الحكم يمنحها رأيا مسموعا في السياسة الاقتصادية والاجتماعية التي تريدها موافقة لرغبات رأس المال الصهيوني في العالم ، ليس هذا فحسب ، بل ان الحركة الصهيونية تتولى تمويل الاحزاب الاسرائيلية (الصهيونية) فتمنحها ما يتيح لها تغذية اجهزتها والقيام باعباء حملاتها الانتخابية ووجوه نشاطها المختلفة وتوزع الحصص على هذه الاحزاب تبعا لنسبة الاصوات التي ينالها كل منها في الانتخابات العامة هكذا تكون حصة الحزب الحاكم — وقد ابتلع في العام الماضي حزبين آخرين ، كما اشرنا — هي حصة الاسد ، ويكون هذا الحزب اشد الاحزاب خنوعا امام الصهيوني في العالم . وهكذا ايضا تجد الصهيونية العالمية منفذا آخر الى اجهزة الدولة التي تهيمن على القطاع العام وتحدد دورها في ضبط الفئات المستغلة — بفتح الفين — وفقا للسيطرة الصهيونية عليها . هذا " الضبط " يتراوح بين تأطير تشارك الخدمة العسكرية بقسط واف منه وبين قمع مباشر يجند له الجيش والشرطة وجهاز المخابرات وتنوء تحته خاصة العربية .. اما اتحاد النقابات فهو ذو تركيب غريب ، مرد غرابته الى كونه الاتحاد الوحيد من نوعه في اسرائيل ورب الاكبر الحريص على النظام فيها معا . وهو يستطيع ، عدا صلاته العضوية بالحزب الحاكم ، ان يفرض لنفسه مثلا واثنين او على قاعدة الحكومة . وهو القيم غير الديمقراطي على الضمان الصحي والتعويضات المختلفة العائدة الى العمال عمالـه

---

(١) متوسط دخل الفرد في اسرائيل ٨٢٦ دولارا عام ١١٦٢ بازاء ٥٤٨ دولارا في مصر و٤٤٠ دولارين في لبنان و١٤٤ دولارا في سوريا .

(٢) رحول اليهود الشرقيين : جورج فريدمان — المصدر نفسه — عنوان الفصل : اسرائيل الثانية — معظم الارقام في هذه الفقرة مستقاة من فاينشتوك — المصدر نفسه — القسم الثاني — الفصلان الثالث والرابع .

وسواهم ؟ "الاقتصاد التعاوني" الى ذلك يضم في مؤسساته المختلفة عام ١٩٦٦ - ٦ر ٢٢ ٪ من الاجراء الاسرائيليين ويقم ٣ر ٢٠٪ من الدخل الوطني الصافي ، هذا كله يجعل اتحاد النقابات "القوة المهيمنة على البلاد" (فاينشتوك ١) ، لكنه يجعله ايضا اداة النظام الاولى في رص الصفوف حول الطبقة الحاكمة . حتى ان كل اضراب يجرى دون موافقة هذا الاتحاد ، يلقى من المقاومة ما لا عهد لاضراب بمثله . والاتحاد من جهته ليس سريع الموافقة على الاضرابات فان ما اعترف به من اضرابات عام ١٩٦٦ مثلا لم يبلغ الا ٨ر ٤٣٪ من المجموع ، وبلغ عام ١٩٦٥ ، ٢٨٪ فقط .. بل ان حوالى خمس الاضرابات سنة ١٩٦٥ كانت تتوجه بمطالبها الى الاتحاد نفسه باعتباره رب العمل ...

ماهو الخط الذى يعطيه هذا المجتمع لليسار غير الصهيوني في استلام السلطة ؟ صفر . واليسار المذكور يعرف هذه الحقيقة وكل منظمة من منظماته تستخرج منها النتائج التي تلائم وضعها ، ونحن اذ نريد ان نتقصى امكان موقف مختلف تقفه اسرائيل في صراعها مع الشعوب العربية ، لا نضع في حسابنا بطبيعة الحال اليسار الصهيوني الذى يجسده حزب العمال . فهذا الحزب ، كان ممثلا في الحكم عند كل موجة من موجات التوسع الصهيوني " (فاينشتوك) . وهو ما يزال ، لذا تحصر وظيفته قبل كل شيء ، في تزيين "الانضباط" للعمال ايام الحرب وفي انفاذ الصهيونية - بكثير من الصعوبة - الى صفوف الاقلية العربية وفي طلب الغفران للجرائم الصهيونية من اوساط اليسار الثورى في العالم . يهمنا اذن اليسار المعادى للصهيونية ، وهو اما حديث العهد بمعاداتها - نسبيا - واما حديث العهد والسلام . اما الحزب الشيوعي الاسرائيلي فكان يتبارى مع الاحزاب الصهيونية عام ١٩٤٨ في الحماس للدولة الصهيونية الجديدة (١) مسايرا بذلك موقف ستالين . وحينما اخذ موقف الاتحاد السوفياتي تجاه اسرائيل يتغير اثناء الخمسينات بدأ الحزب ينعى على الحكم الصهيوني رجعية سياسية في الداخل والخارج . لكن هذا الموقف ادى الى خلافات في داخله انتهت بانشقاق الى حزبين عام ١٩٦٥ . الاول من هذين الحزبين (وهو الذى احتفظ باسمه) ، اصبح حزبا يهوديا صرفا واقترب كثيرا من مواقف الحكم ، وهو يعني بالنفس بفوائد جمة يجنيها من وضعه الجديد اهمها الخروج من العزلة السالفة . لكن الفوائد الحقيقية تعود ، في الواقع ، الى الحكم الصهيوني ، لان هذا الحزب قد بدأ يؤدى ، في الداخل والخارج ، وظيفة مشابهة لوظيفة الهاجاناه . لذا بدأت المنظمة الصهيونية تمول صحيفته اليومية .. اما الحزب الاخر فقد سمى نفسه "اللائحة الشيوعية الجديدة" وبقي على رأسه توفيق الطوبى وماير فيلنر ، وهو وريث الناخبين العرب الذين كانوا يصوتون للحزب القديم ووريث الخط الذى تسير عليه السياسة السوفياتية في الصراع العربي الاسرائيلي . وهو يعترف بحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ، لكن بناء الكيان الاسرائيلي ليس عنده موضع بحث . وهو يعارض الكفاح المسلح الفلسطيني ويؤسس نظرته الى الوضع الناتج عن الحرب على قرار مجلس الامن (في تشرين الثاني ١٩٦٧) لكن اليهود قلة قليلة بين اعضائه وهو لا يملك اثرا فعليا على الحياة السياسية في اسرائيل .

بقيت المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، وهي ايضا صغيرة الحجم ضئيلة الاثر . لكن اعضاءها يعرفون الحوائل دون توسعهم في الاوضاع الراهنة و "يرفضون كل تعايش سلمي مع الامبريالية والصهيونية" (٢) وهم - تمشيا مع هذا المنطلق - يربطون بين مصيرهم ومصير الثورة في المنطقة العربية - الثورة الفلسطينية خاصة - ويعتبرون "ان هدفهم النهائي هو ان يقيموا مع القوى الاشتراكية العربية جمهورية اشتراكية موحدة تمتد من المحيط الاطلسي الى الخليج (الفارسي)" . هذه المنظمة لها على الاقل فضل المعرفة بالاساس الذى لايمكن ان يقوم الاعليه موقف ثورى من القضية الفلسطينية . وهو انه يستحيل الجمع بين الولاء للثورة والولاء للكيان العنصرى الذى اصطنعته الصهيونية ومن ورائها الاستعمار على ارض فلسطين .

سوف يظل "الرفض العربي" يواجه اذن في هذه المرحلة من نموه كل المجتمع الصهيوني ، لا قيادته البرجوازية فحسب . بل ان هذه القيادة تستمد صيغة المواجهة القومية لانها تتيح لها تغليف صراع الطبقات وتوحيد المجتمع كله من ورائها . ولقد امست التجربة تدل على انه كلما ابتعد شبح "الخطر العربي" ابتعدت معه اشياء اخرى عديدة في اسرائيل ومنها الوحدة الاجتماعية . لماذا اذن لانقبل الحل السلمي ، اذا كان السلم يقود الصهيونية نحو حتفها رويدا رويدا ؟ الجواب بسيط . وهو ان القيادة الصهيونية واجهت ازمة الوحدة الاجتماعية - على وجه الدقة - بحرب جديدة اعادت رص الصفوف على نحو لم يسبق له مثيل . ثم ان هنالك مناطق احتلت واناسا شردوا او سحقت حريتهم . والدولة الصهيونية لاتريد ، مهما يكن من امر ، ان تغير - طوعا - شيئا يذكر من هذا الوضع الجديد . والمجتمع الصهيوني - الذى لايسووه كثيرا ، في الان ، ان يبقى صهيونيا ، كما حاولنا ان نبين - يشعر شعورا عميقا بان الابقاء على الاراضي المحتلة ليس ، في ميزان خطيره ، قضية حياة او موت ، بل هو قضية حياة وموت في آن معا ، ذلك ان السلام مع العرب بعد "تصفية آثار العدوان"

---

(١) سخر بن غوريون من توفيق الطوبي زعيم الحزب الشيوعي الاسرائيلي لتبدل موقفه في تصريح ادلى به عام ١٩٥٢ : "مازلت اذكر جدلا دار في الكنيست الاولى حول قانون العودة (محور التشريع الصهيوني الذى كرس لكل يهودى حقه في "العودة" الى فلسطين - ل .) لم يكن اى عضو ينافس في حماسه الصهيوني توفيق الطوبي ممثل الحزب الشيوعي الذى اقترحت الحكومة التي قدمتها الى المجلس لم يكن لها مدى كاف في نظره . كما قد رفضنا اعطاء حق العودة للمجرمين والمعاقين الذين يمكن ان يشكلوا خطرا على امن الدولة وسلامتها . اما توفيق الطوبي فقد اصر على استقدام المنفيين جميعا دون قيود .. راجع : فاينشتوك - المصدر نفسه - ص ٣٦١ - ٣٦٥ ، نشأت المنظمة عام ١٩٦٢ ، والقضية الفلسطينية مدينة لها حتى الان بدراستين على الاقل هما افضل ما كتب حتى الان في ارجح الظن حول الحركة الصهيونية وولادة اسرائيل ، نكبة فلسطين "

يعني رد اسرائيل الى حجمها الطبيعي اي الى كونها دولة نصف متخلفة اذا لم تجد منفذا آخر يتيح لها الاضطلاع بمهمة ذات طابع خاص في هذه المنطقة . تلك المهمة هي التحول الى قاعدة للاستعمار الجديد برساميله وخبرائه ، بعد ان كانت بين اشياء اخرى قاعدة عسكرية لحمايته . غير ان القيادة الصهيونية لاترى فعلا ما يدفعها الى اختيار هذا الوضع الجديد . فهي تحتل به الان ، وتفكك الوحدة الاجتماعية الذى يتلو فقداتها لهذا كله .. عليه ترغب القيادة الاسرائيلية في حل يحفظ لها يعني انحباسها بين حدود لم تقنع بها يوما من الايام وتخليها عما تعتبره مهمتها التي وجدت لها متخليا يفقدها الكثير معه هذا كله . اى انها ترغب في الابقاء على الاحتلال الذى ينقل الخط العربي الى داخل حدودها وينقل معه دما جديدا للوحدة الاجتماعية المصطنعة . فالحال ان اسرائيل لن تصل ابدا الى حد القبول بحرب المناطق المحتلة مواطنين فيها وهي ستجد صعوبة لاستمرارهم تؤمن ابقاء التعادى بين مصالحها مصالح اليهود ، لان هذا التعادى هو الضمان الاول لوحدة اليهود في وجه الحرب اذا كان هؤلاء هم الذين يدفعون ثمنه لاولئك . هكذا ستحاول القيادة الصهيونية ان تحافظ على هويتها الايديولوجية ومن بعدها على نظامها الاجتماعي . وهي تملك الان جميع شروط المحافظة على هذا وعلى تلك ،لان ايديولوجية الطبقة الحاكمة تسيطر سيطرة تامة على سائر طبقات المجتمع ، ثم ان نظاما شبيها بالنظام السائد في جنوبي افريقيا له فوائده الاقتصادية في عين الحكم الصهيوني . وقد بدأت هذه الفوائد تجنى ،فاليد العاملة العربية تستطيع ، متى ضبطت ، ان تمارس على الاجور في اسرائيل نفسها مقدارا من الضغط هوالذى ترغب فيه الطبقة المسيطرة دون زيادة ولانقصان . واسرائيل ، من ناحية اخرى ، توجه انتاج المناطق المحتلة بحيث يمدها بما لاتنتجه هي فتستفيد من انخفاض اسعاره ،بينما يرسل الباقي الى الاردن او سواه وفقا لسياسة "الجسور المفتوحة" وتظل المناطق المحتلة سوقا مفتوحة امام فائض الانتاج الاسرائيلي .. فلا شيء ابدا يهدد اسرائيل في طيبة مذاقه امبراطورية صغيرة هادئة .

يبقى ان تكون هذه الامبراطورية هادئة فعلا . وهذا صعب ، لكنه هو الذى يحدد تصور اسرائيل للحل السلمي . فهي تلقي على عاتق الانظمة العربية المحيطة بها هم القضاء على العمل الفدائي وتأخذ على عاتقها مهمة القضاء على المقاومة في الارض المحتلة . وهي تعتمد هنا وهناك على قوة السلاح . ولايعني فشل السلاح في حمل مهمته هذه اقل من الموت . فالقوة يفرض الحل السلمي والسلام يعني قبول الامر الواقع بكله او جله . هذا هو شعار اسرائيل اليوم . ونحن نأمل ان تكون قد بسطنا اسبابه على نحو مقنع . بقي علينا ان نبحث خارج اسرائيل وداخلها ، عن مصدر السلاح وبقية مصادر القوة .

— الولاية الحادية والخمسون(١)

دأب المختصون بعد حرب الايام الستة على التبسط في امر هام جدا يمكن ايجازه بما يلي : ان هذه الحرب ادت لاسرائيل خدمة هي — على وجه التحديد — تلك التي تؤديها الحرب للانظمة الرأسمالية ،اى طمس التناقضات في الداخل بالسلام الاجتماعي وتأجيل القضاء والخدر (٢) والذى نعنيه ليس كون اسرائيل بالذات ،كانت سائرة ، على مدى قريب نحو ازمة ولا كون الازمة التي عانت منها كانت في وجهها الاهم ازمة اقتصادية . ابدا . بل ان الذى اخذ ينحل ، قبل سواه ، في اسرائيل ، كان الصهيونية . فالسلام الذى طال بعد ١٩٥٦ اورث الاسرائيليين تحولا في سلوكهم الاجتماعي وتفككا في وحدتهم الايديولوجية شدد منهما الارتفاع الذى مان مستوى المعيشة قد عرفه خلال السنوات السابقة وان بدا ان الدولة الصهيونية مقبلة على ضخم مالي وتفاقم بطالة وما اليهما من هوات النمو الرأسمالي . لكن ادهى ما في الامر كان تقلص العناية الشعبية التي كان يهود العالم لاسرائيل وتحول هذه الاخيرة شيئا فشيئا الى دولة "عادية" من جراء ذلك . فحجم التبرعات اخذ في واصحاب الرساميل باتوا اكثر شدة في شروطهم والمهاجرون لايكاد حجمهم يصل الى حجم الهجرة المضادة . هذا كله اسرائيل على حافة الهاوية . ولقد عرفنا حتى الان اهمية الهجرة على الصعيد الايديولوجي . فهي عدا الدور الذى اضطلعت به عمار الدولة الصهيونية ، تشكل غاية هذه الدولة ومبرر وجودها الاول . وتوقف "المنفيين" عن العودة يعني ، دون شك التجربة الصهيونية وانتفاء ضرورتها . اما التمويل — بالتوظيف والتبرع — فهو شرط الحياة في حالة حصار لاتترك لها البلدان المحيطة وشرط تحجب الاعباء الدفاعية التي يرتبها عداء الشعوب العربية على الكيان الصهيوني وشرط الحفاظ على المعيشة يجتذب مزيدا من المهاجرين . من هنا ان شرايين الدولة الصهيونية موجودة في خارج جسمها وانها اذا ماتوت فلانها كانت دولة "عادية" تواجه الرفض العربي بعلاقات "عادية" مع القوى التي تعاضدها في العالم .

---

(١) اطلقها انصار الصهيونية الامريكيون للدلالة على متانة الصلة بين اسرائيل والولايات المتحدة التي يبلغ عددها كما هو معلوم خمسين ولاية .

(٢) مدلطن — المصدر نفسه — اول من وصف تفصيلا بواعث الازمات في تكوين المجتمع الاسرائيلي ، وذلك منذ عام ١٩٦٠ . وفي عام ١٩٦٨ تولى رودنسون عرض ازمة ماقبل الحرب في اسرائيل والرفض العربي " الفصل السابع . ثم طارك هليل ، هذه السنة ، مدار كتابه السابق الذكر .

والحال ان هذه العلاقات ليست عادية على الاطلاق • وهي على مستوى اول ، معقودة ، مع رأس المال اليهودي في العالم ، بتوسط الحركة الصهيونية • هذه الحركة تتولى تنظيم الهجرة الى اسرائيل وتمويلها • اما التنظيم فنتركه جانبا • واما التمويل فهو تبرع من يهود العالم يجد تفسيره في اصرار تاريخي على توكيد الهوية امام النزعة اللاسامية ام الصهيونية وحليفتها ، او هو توظيف لايحتاج الى تفسير خاص • والتوظيف وان يكن عظيم الحجم ، لا ينبغي ان يصرف نظرنا عن التبرع بحيث نتوهم ان كل الاموال اليهودية التي تفيض على اسرائيل تقدم طلبا للربح • والحركة الصهيونية الى هذا توظف مالها من نفوذ ، اكسبها اياه رأس المال اليهودي وتوجه اليهود ، خلال القرنين الماضيين — عدا وزنهم في تجارة المال — الى اختصاصات بعينها ابرزها السياسة والاعلام والبحث الاجتماعي (١) وكذلك الجرائم المتراكمة ، بحق اليهود ، على صدور الشعوب الغربية ، توظف هذا النفوذ في كسب الدعم الاستعماري لاسرائيل ، وهو دعم يتراوح بين التسليح والمساعدة الاقتصادية والمطلأة السياسية •

لكن من الغباء حقا الا نرى في هذا الدعم كله سوى خضوع الامبريالية الغربية لنفوذ الصهاينة • بل ان الغباء يصل احيانا بالبعض الى تصوير المسألة وكأنها متعلقة اولا وآخرا باصوات اليهود في ولاية نيويورك • فالواضح ان اسرائيل تقدم بمجرد كونها جسما غريبا تواجهه الشعوب المنطقة العربية بعداء لا لبس فيه ، خدمة جلى للامبريالية الاميركية هذه الخدمة تتمثل في صرف انظار الشعوب العربية عن معركتها مع الانظمة الرجعية التي تتستر خلفها مصالح الاستعمار الاميركي وسواه ، الى معالجة عدو يفرض عليها اعطاء صيغة قومية للمعركة لانه ضرب مثلا اول على عدائه لها باقتلاعه شعبا برمته من أرضه دون تمييز بين الطبقات • هكذا يتاح للمصالح الاستعمارية ان تبقى في الظل وللانظمة الرجعية ان تحفظ تماسكها نسبيا — باعلان ولائها اللفظي للعروبة والاسلام في وجه العدو القومي • وتكتمل الخدعة حينما تحاول هذه الانظمة رد المساندة الامبريالية لاسرائيل الى نفوذ اليهود في اميركا • وتصوير مهمة العرب ، كما ينبغي ان تكون ، على انها التفاني في اجتذاب المصالح الاميركية وترسيخها ، بغية اقامة الدليل للولايات المتحدة على ان معاملة العرب بالحسنى انفع لها من مسايرة الصهيونية واسرائيل • اما الواقع الذي تعرفه الامبريالية الاميركية تماما فهو ان اسرائيل هي الحارس الامين لمصالحها في المنطقة وان نهاية الدولة الصهيونية تعني ، على مدى قريب او بعيد ، فقدان الانظمة الرجعية لورقة هامة جدا في اللعبة ، ودخولها هي — الامبريالية — في معركة صريحة مع القوى الثورية العربية بكون لقوى الثورة ، في العالم منها موقف آخر • واذا كانت هذه الخدعة تزداد شفافية يوما بعد يوم فذلك يعود الى ان متانة المنطق الامبريالي ليست غير محدودة وان الانظمة التي اهدت اليها الامبريالية قيادة المعركة القومية قاصرة عن القيام باعبائها وان ازدياد حاجة اسرائيل الى جميع الوان الدعم مع تفاقم عدوانها يلجيء الامبريالية الاميركية الى الاقتراب اكثر فاكثر من ساحة المعركة والاسفار اكثر فاكثر عبر مواقف المساندة الصريحة لاسرائيل ، عن طبيعة العلاقة الحقيقية بين مواقعها في المنطقة العربية والمواقع التي تحتلها اسرائيل • لكن هذا الوضوح — وهو مايزال نسبيا جدا — كلف الشعوب العربية معاناة طويلة كانت اعلى مراحلها مرارة حزيران •

فالحق ان مواقف التأييد الصارخ التي تقفها الولايات المتحدة اليوم من سياسة العدوان والتوسع الاسرائيلية جاءت حصيلة تطور معقد ولم تتخذ منذ البداية شكلها الراهن • فالولايات المتحدة اضطرت مثلا الى الضغط على اسرائيل سنة ١٩٥٦ لحملها على قبول حل وسط بعد انتصارها في سيناء يقضي بسحب قواتها من الصحراء لقاء حرية المرور في تيران وفتح الفدائيين العرب من العبور الى اراضيها • وكانت الامبريالية الاميركية الصاعدة تريد آنذاك وراثة مواطن السيطرة التي خلفتها امبريالية اخرى منها فئة هي الامبريالية البريطانية — الفرنسية • كذلك لم تكن المساعدة الاميركية الرسمية لاسرائيل كبيرة الاهمية حتى فرنسا — لا الولايات المتحدة — حتى عهد قريب ، مصدر السلاح الاول الى اسرائيل • عليه ، اكتفت الولايات المتحدة طويلا باشكال المساندة المستورة سياسيا وماليا وعسكريا • فكانت تقف الى جانب اسرائيل كليا او جزئيا ، في الامم المتحدة وفي سائر المنظمات العالمية كلما ارتكبت عدوانا او واجهتها الحكومات العربية بمحاولة تضييق • لكن هذا لم يكن اهم ماقي الامر • فلقد اعفت الحكومة الاميركية الاموال التي تجمعها الحركة الصهيونية لاسرائيل في الولايات المتحدة ، من ضريبة الدخل ، على انها " تبرعات خيرية " داخلة في باب " النفقات العامة " مما اتاح لاسرائيل ان تتلقى هبات تقدر بمئات المرات من ملايين الدولارات تشارك الحكومة الاميركية ، مداورة بمقسط كبير فيها • كذلك شجعت الولايات المتحدة حكومة المانيا الغربية على عقد صفقة ضخمة مع اسرائيل تقدمت لها بموجبها ثلاثة مليارات ونصف المليار من الماركات (٢) لقاء صك غفران اسرائيلي برأ المانيا " الجديدة " من دم ستة ملايين يهودي قضوا في المجزرة النازية • ولقد سدد المبلغ على اقساط عدة حسب دفعها اتفاق اللكسمبورغ المعقود عام ١٩٥٣ وانتهت في اوائل الستينات • ولا بد من القول ان المانيا الغربية تجد في الغفران هذا اهمية سياسية كبرى اذ يحررها من عبء موهق كان يثقل خطوها بين حلفائها الغربيين • كذلك تهيج الصهيونية لنفسها ، اذ تصدر هذا الصك بتمريغ كرامة اليهود احياء وضحايا في الوحل وتكشف مرة اخرى مدى حاجتها الى

---

(١) يصح هذا خاصة على البلدان الاوروبية والولايات المتحدة الاميركية وهو يعود الى ظروف تاريخية معقدة لامجال لعرضها هنا •

اللاسامية ٠٠ اى الى سفك دماء بعض اليهود " لانقاذ " بعضهم الاخر ٠ وحينما شارف دفع هذه التعويضات على نهايته عادت المانيا — بتشجيع من الولايات المتحدة طبعا ، الى منح اسرائيل قرضا جديدا معفى من الشروط العادية مقداره ٥٠٠ مليون دولار بينها ٣٢٠ لنفقات التسليح ثم اتبعته بقروض متوالية لتنفيذ المشاريع (٤٠ مليون دولار سنة ١٩٦٦ مشفوعة بمساعدات مختلفة اخرى اهم مجالاتها السلاح ، السلاح الذى اظهر ، منذ سنوات قليلة ، كيف ان المانيا الغربية تعير اسمها غطاء للمدافع الاميركية(١) ٠٠ عدا الاحوال التي كانت هذه المدافع تصل فيها دون غطاء ٠

غير ان الحال قد تغيرت اليوم ، فاضطرت الامبريالية الاميركية الى نزع اوراق التين الالمانية وسواها ٠ هكذا ازداد تدفق السلاح الاميركي على اسرائيل وسوف يظل يزداد طوال السنوات المقبلة ٠ وتكرس الدعم غير المتحفظ بمواقف مصوغة في اطار الامم المتحدة ٠ ثم جاءت زيارة غولدا مائير الاخيرة لنيكسون لتعطي الموقف الاميركي مدى ابعد وصورة اوضح ٠ فالصهيونية تريد طيرانا يتراوح بين ٢٥ و ٥٠ طائرة من طراز فانتوم بعد الطائرات الست والخمسين التي بدأت تسلمها ، وتريد ثمانين طائرة من طراز سكاى هوك غير التي تملكها وتريد عددا غير معروف من الطائرات المروحية وتريد صواريخ تطلق من الارض الى الجو ٠٠ وهي الى ذلك تريد قروضا طويلة الاجل بفوائد " رمزية " مقدارها مليار دولار تتسلم منها كل عام ١٥٠ او مليوني مليون ، " اذا لم يكن في الامكان ان تعطى لها هبة والسلام " ٠ وهي تقدم لهذا الجشع كله سببا واضحا او سببين : " فاسرائيل تنفق اليوم ٥٠٠ مليون من الدولارات تقريبا كل عام للحفاظ على قوتها العسكرية ٠٠ التي لا وجود للدولة اليهودية دونها ٠ وهذا المبلغ يجاوز كثيرا امكانات اسرائيل وامكانات يهود العالم الذين يدعمونها ٠٠ وهي حينما تتصدى لضغوط الانظمة العربية والاتحاد السوفياتي ، لا تدافع عن وجودها فحسب ، بل تحول دون ان يصبح الشرق الاوسط ، الذى تريد اسرائيل ان تحصر نفوذ الاتحاد السوفياتي فيه ، منطقة نفوذ امريكية وحدها ٠ فهي اذن تحمل عبئا هاما عن العالم الغربي ٠" (٢) اما البلدان العربية ٠٠ واما " موسكو " فليست هنا الا ترجمة تعودنا عليها لكلمة اخرى : الشعوب العربية ٠

هذا ، ولا يفسر انفتاح ×ميازيب الكلام الاميركي على اسرائيل بالدور الذى تضطلع به هذه الاخيرة في الشرق العربي وحده ٠ فلاسرائيل دور قدر آخر تمتد اثاره على العديد من بلدان العالم الثالث ، عبر شبكة البعثات الفنية التي تغطي ثمانين بلدا ٠ والدولة الصهيونية ، اذ تقدم نفسها لهذه البلدان على انها دولة صغيرة مسالمة ترغب قبل كل شيء في اعادة التضامن باسم الانتماء الواحد الى العالم الثالث ، بين البلدان المذكورة والاقطار العربية ٠ لكنها لا تتورع عن استعمال شبكتها الفنية في ايجاد منافذ جديدة لرأس المال الامبريالي خاصة في افريقيا ٠ وهي الى ذلك تساند قضية الاستعمار سياسيا حيث يستطيلا وتجني من ذلك فوائد مختلفة ٠ فتجارة الالماس المصقول الذى تستورده خاما من جنوبي افريقيا — البلد الذى يحكمه واحد من افذر الانظمة في العالم على الاطلاق — يشكل ثلث مشترياتها اى ضعف ما تجنيه من تجارة الحمضيات كلها ٠ وهي تضيف الى هذا الاخطبوط اذرعا نقابية تمسك بنقابات العالم الثالث لتحضها على الاعتدال اذرعا عسكرية مهمتها رفع قدرة الجيوش التي تحمي عددا لا يستهان به من الانظمة العميلة في البلدان المتخلفة (٣) ٠

ولنعد الى التذكير مرة اخرى بطبيعة الصلة في المشرق العربي ، بين اسرائيل والانظمة التي تقف خلفها الامبريالية اميركية ٠ فاذا كان الوجود الاسرائيلي نفسه يشكل حماية لتلك الانظمة ، فان هذه الحماية تتخذ ، في الممارسة الواقعية اشكالا مختلفة ٠ فهي تتراوح بين الوصاية العسكرية المباشرة في حالة النظام الاردني اذ تهدد اسرائيل بالتدخل عسكريا اذا تطلب ، والمسايرة المستورة ، في حالة النظام اللبناني الذى تثق اسرائيل بمقدرة تركيبه — مادام التوازن العربي الراهن قائما — على حفظ ضعفه وتبعيته للامبريالية لكنها تستعد ، متى اختل هذا التوازن على تحويهدده لابتلاع جزء من الارض التي يقوم عليها ٠ هذه الحماية نفسها ، حين يكون غرضها الرجعية العربية في مختلف اقطارها تتخذ شكل العدوان العسكري من الانظمة ذات الطراز الناصري وهي انظمة يحملها منطقها الوطني على الاعداد لمجابهة اسرائيل فعلا ويحول تركيبها المختل علاقاتها العربية والعالمية بينها وبين اعطاء هذا الاعداد صيغة كافية الفعالية ٠ لذا فان اسرائيل استطاعت ان تشن عام ١٩٦٧ على كون النظام الناصري نفسه مثلا جسما طافيا على سطح مصر لاتشده الى شعبها صلات عضوية ، بحيث ان ضربة على رأسه حتى ينهار ٠٠ غير ان اسرائيل لم تكن ، في هذه الحال ، تقدر وطنية الجماهير حق قدرها ، ولم يكن في وسعها ان تعلم ان خضوع النظام — استطالة عبد الناصر — لا يعني ضرورة خضوع الجماهير ٠

اذن قامت اسرائيل باصطناع فصل خطر جدا بين القوة العسكرية السياسية التي ينبغي للقوى الثورية العربية ان تجابهها — اسرائيل نفسها — والمصالح السياسية الاقتصادية التي تقف خلف هذه القوة — المصالح الامبريالية ٠ بل ان واجهة هذه المصالح — الانظمة الرجعية — بدت من جراء هذا الفصل وكأنها معادية للقوة التي تحميها (القوة التي تحمي المصالح المذكورة اى اسرائيل) تلك هي باقصى ما يمكن من الانجاز وظيفة اسرائيل في المنطقة العربية انها تركيز نقمة الجماهير على عدو واحد هو بالذات الطرف الذى سهل حمايته اكثر من سواه ٠ فهل يعني ذلك ان علينا ان نقف داخل منطق النظام الذى تحاول اسرائيل فرضه علينا في المنطقة ، وان نجابهها ، هي اولا ، بتحالف يضم جميع الطبقات ثم تنصرف بعد

---

(١) انظر حول العلاقات الالمانية الاسرائيلية : فاينشتوك — المصدر نفسه — ص ٤٤١ — ٤٤٢

(٢) انظر " لوموند " : ٢٧ ايلول واول تشرين اول ٠

(٣) انظر : فاينشتوك — المصدر نفسه — ص ٤٤٣ — ٤٤٤ — اقترح بن غوريون على ديغول ابان المرحلة الاخيرة من الثورة الجزائرية ان يعمد الى تقسيم الجزائر واقامة دولة للمستوطنين الاوروبيين ٠

ذلك الى تصفية المصالح الامبريالية ـ الرجعية عبر الثورة الطبقية • قطعا لا • والتجربة التاريخية هي التي تتولى هنا تقديم الجواب• فتحالف الطبقات او " الفاء " الصراع الطبقي يعطي في احسن الحالات نظاما على شاكلة النظام الناصري • انما الابقاء على المصالح الاميركية ـ الرجعية الى ما بعد انتهاء المعركة الوطنية فهويعني اننا سوف نواجه هذه المعركة بسيف فيصل المسلط على رقاب الاحرار في الجزيرة العربية • ام يكون علينا تأجيل المعركة مع اسرائيل الى ان ننجز بناء الاوضاع الجديدة التي تؤهلنا للانتصار فيها ؟ ابدا • فهذه المعركة هي التي ينبغي ان تحدد وجهة التغيير وان لم تكن آخر المعارك ، والبحث عن صيغة تتيح تحقيق النصر فيها كان وما يزال واحدا من اهم العوامل التي تتولى التحريك الاجتماعي في الاقطار العربية • لا ينبغي لنا اذن ان نقف داخل المنطق الذى يعينه الوجود الصهيوني في فلسطين ولا خارجه ، اذا عنينا بالخارج وجه هذا المنطق الاخر • بل ان على القوى الثورية العربية ان تصوغ لها منطقا آخر يكشف في كل حين تركيب المواجهة المتداخلة الجوانب تطلبا للوصول الى اقصى مدى من الفعالية الثورية •• تلك هي شروط استراتيجية المطروحة امام قوى الثورة في هذه المنطقة وهي لاتلزم بابشار الامور ولا بحرق المراحل لكن تحتفظ العلم بها نور لاغنى عنه لرسم خطة هذه المرحلة ومايتلوها واجتناب الانتهازية والتهور في آن معا •

وبعد ، افيكون عجبا بعدما رأيناه من وظيفة الدولة الصهيونية بين الشعوب العربية وما عرضناه من اهمية الابقاء على مكاسب الحرب في ضمان مستقبل هذه الدولة ان تقدم لها الامبريالية العالمية وسائل الصمود ؟ اتترك الامبريالية قاعدتها هذه بعد ان دللتها اعواما طويلة واتاحت لها من الموارد ماجعلها تنفق كل عام اربعة امثال ما تنتج ؟ ام ان الحل يكون بايفاء ملك الاردن الصغير الى العاصمة الاميركية " ليقنع " اولي الامر هناك بمسايرته قليلا في " حربه مع اسرائيل " ؟ وحدهم السذج والخونة يدعون ان الامبريالية ستقطع بيدها الغصن الذى تجثم فوقه على الدوحة المشرقية •

٤ ـ دايان واشعيا

كلمة اخيرة حول الجيش الاسرائيلي نسوقها اعتمادا على التحليل السابق وتكملة لما قلناه في القسم الاول من هذا البحث حول حدود الاعداد العسكرى العربي •• هذا الجيش رغم طابعه العنصرى ونشوئه على غاية استعمارية يتمتع ، في مجال التنظيم بمعظم مزايا الجيوش الشعبية ، مضافا اليها اعتماده احدث انواع الاسلحة وافضل طرق التدريب والتهيئة والجمع بين هذين الجانبين هو الذى يعطيه طابعا فريدا • ويمكن رد قوته قبل كل شيء ، الى كون الصهيونية استعمارا من الدرجة الاولى ثم الى كونها استعمارا ذا طابع خاص • فان صلة اسرائيل عبر الحركة الصهيونية بالمصالح الامبريالية في الشرق الاوسط قد استتبعت عناية شديدة من دول ~~خاصة~~ الاستعمار الغربية بتسليح الجيش الاسرائيلي وتدريبه • ولقد ساهمت فرنسا والمانيا الغربية خاصة بهذه المهمة ، قبل ان ينتقل العبء الاول الى الولايات المتحدة الاميركية • ولاتنحصر المشاركة الامبريالية في تقوية الجيش الصهيوني بتقديم السلاح والعون الفني ، بل ان بناء القاعدة الصناعية الواسعة في اسرائيل يكمن في الجزء الاكبر منه على اكتاف المعونات والرساميل الامبريالية • ولا يخفى ان الصناعة ـ عدا توفيرها الموارد والتجهيزات الخبرة ـ تخلق لدى الذين يعملون فيها مقدرة على الانضباط وتقبلا للتنظيم وثقة بالعلم لا تملك الجماهير المتخلفة مثلها الا في ظروف ثورية خاصة • اضف الى ذلك ان الاستعمار الصهيوني اضطر منذ بدايته الى التأهب تأهبا مسلحا للعداء العربي الذى كان يحيط به من كل صوب • فالثورة الفلسطينية بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ ادى اشتراك اليهود والبريطانيين في سحقها الى اضعاف الطاقة الفلسطينية المسلحة وتقوية الطاقة الصهيونية • وتطوع اليهود في الجيش الحليف اثناء الحرب الثانية اكسبهم كثيرا من الخبرة العسكرية • والهاغانا التي نشأت في ظل الانتداب البريطاني كانت قد امست عام ١٩٤٨ جيشا يفوق بمراحل من التأطير متوسط التسليح بينما لم يكن للجيش الفلسطيني وجود • وحين تحولت المواجهة العربية الاسرائيلية الى حرب بين دول كان هم الصهاينة الاول ومن وراءهم تقوية الجيش الذى تتغذى معنوياته اليوم من ثلاث هزائم كبرى الحقها الجيوش العربية •

لكن ثمة عنصرا آخر لعله اكثر اهمية مما ذكرنا هو طابع الاستعمار الصهيوني الخاص الذى استطاع في غضون سنوات قليلة من السنين ان يخلق لدى المستوطنين اليهود شعورا عميقا بالانتماء الوطني الى الارض التي يقيمون عليها • فالجندى الاسرائيلي لا يشعر اثناء المعركة بانه يدافع عن مصالح رأس المال الاستعمارى الذى يمتلكه مثلا مناطنون له يعلوه ليموت بينما هم يتابعون ادارة اعمالهم عن مرمى البنادق • وهو لا يعتقد ان من الخير له ان يعود الى " وانه الام " ان يترك سكان هذه البلاد الخطرة وشأنهم • بل هو على العكس من ذلك يرى ان يدافع عن ارض هو صاحب الحق فيها الهزيمة تنذره ، هو ومواطنيه جميعا بسوء المصير • والموقف العنصرى الذى لم يكن القادة العرب يخفونه ، معتقدين يستنهض هم جيوشهم ، و " الرمي الى البحر " و " التمزيق بالاظافر والاسنان " لم يكن اثرها قلية في استنهاض الجنود الاسرائيليين •• اما ابناء الفلاحين العرب المسحوقين تحت وطأة العلاقات بينهم وبين ضباطهم والسيئي التدريب والمسلين الى معركة لا يعرفون لابائهم ولا لابنائهم فيها من مصلحة سوى " العزة القومية " استرجاع حقوق الشعب الفلسطيني الذين يعلمون ان الذين ارسلوهم يضطهدونه فهم بالطبع لم يكونوا يشعرون برغبة شديدة فعلا في القتال •

اشعيا نبي من انبياء التوراة قهرت جيوشه الكنعانيين ويعلو لقلة الصهاينة تشبيهه بوزير دفاعهم الحالي •

هذا والوحدة الوطنية القتالية التي تجمع بين الاسرائيليين بسبب الولاء الصهيوني للارض والخط العربي الذي يلاز
تجد في تكوين المجتمع الاسرائيلي - وفي تاريخه وامكاناته ايضا - جميع البنى اللازمة لاستقبالها . فالاحزاب السياسية
الصهيونية واسعة الانتشار ، قوية النفوذ بين السكان . والتنظيم النقابي الموحد يشمل معظم القوى العاملة . ومستوى الحياة
المرتفع - قياسا على بلدان المنطقة الاخرى - يعطي الاكثرية الساحقة ما تخاف من خسرانه ، في حال الهزيمة . وطاقة الانت
والمعونات تسمح للجيش بتجنيد كل قادر على حمل السلاح ، عند الضرورة . فالرجال الاسرائيليون - عدا ابناء الاقلية
العربية - امس كل منهم ملزما باداء ثلاثة اعوام في الخدمة العسكرية الاجبارية وبالعودة الى الجيش حوالى شهرين كل
عام ، ما دام قادرا . والنساء ايضا يخضعن لنظام خاص في الخدمة العسكرية والتدريب (مدة الخدمة عشرون شهرا للواتي
لا يستفدن من نظام الاعفاء) . هذا كله يرفع طاقة التعبئة التي تملكها اسرائيل الى ٢٧٥ الف جندي في حال استدعاء
الاحتياط بينما لاتبلغ الطاقة نفسها في مصر الا ٨٠٠ الف جندي (عام ١٩٦٧ في الحالتين) . هذا بينما يبلغ تعداد
سكان المصريين ثلاث عشرة مرة تعداد اليهود الاسرائيليين . من هنا ان حكاية المليونين الذين يجابهون مائة مليون
عربية واقعة . فالواقع ان تعداد الجنود الاسرائيليين فاق تعداد الجنود العرب الذين واجهوهم في حرب حزيران .
ولا عبرة طبعا بالطاقة الاقتصادية فان مثال البلدان الاشتراكية الفقيرة التي يجند الملايين في آسيا الشرقية ماثل
للعيان . فالشأن كله شأن العلاقات التي يتكون منها النظام الاجتماعي في بلد ما والسبب الذي يدفع اهله للدخول
في معركة (١) .

هكذا يتضح ان الجيش الاسرائيلي ليس ، في حقيقة امره ، سوى المجتمع الاسرائيلي المسلح . وانه يستفيد من ظروف
- هي طروف هذا المجتمع - تجعل من قوته امرا طبيعيا لاعلاقة له بالمعجزات . اما دحره فهو يقتضي بناء تنظيم
للمجتمع متفوق عليه ، في الوسط العربي المتخلف . وذلك ما يقصر النظام الناصري وابناء عمه عنه ، لان هذه الانظمة
عاجزة عن كشف اهداف المعركة الحقيقية ومداها وعن زج جماهير العمال والفلاحين - الذين تخشاهم - فيها والعلاق
ليدهم في تنظيمها . . ومثل هذا التنظيم لايقوم الا على ايديولوجية ثورية تثبت بالنضال المسلح والمنجزات الفعلية والتمثل
الفكر واضح ان لليهود فلسطين مستقبلا غير المستقبل الصهيوني ومثلا يستطيعون التضحية في سبيلها غير الحلم الصهيوني
الذي عقد مشكلة اليهود عوض حلها وغير حماية النهب والاستغلال في المنطقة العربية . هكذا فقط يمكن ان يؤدي كل
صدع تحدثه ضربة من الخارج في تنظيم العدوان الصهيوني الى احداث صدع آخر يبدأ في الداخل ويكون اخطر على
حاسك البنيان (٢)

ثم ان حرب التحرير الشعبية حرب طويلة بالضرورة . والجيش الاسرائيلي الذي يستمد قوته من كونه هو المجتمع
الاسرائيلي ضعيف ايضا لانه كذلك . فالتعبئة العامة في اسرائيل تكاد تعني اضرابا عاما . والجيش الاسرائيلي حاليا مزوع
في حال من التعبئة يستطيع تحملها سنوات عدة لكنه لا يستطيع ان يتحمل الا شهورا ما هو اعلى منها بكثير لذا فان تجنيد
قوات شعبية تجبره على استدعاء احتياطه لمدة طويلة اذ تخوض ضده حربا عنيفة واسعة الرقعة متصلة النفس ، هو بداية
انهياره .

خلاصة

اراد هذا البحث ان يكشف الاتجاهات التي تتنازع السياسة الاسرائيلية بعد حرب حزيران ثم ان يردها الى
جذورها الصهيونية الراسخة مبينا انها ليست عرضا تولد من اثار العدوان بل دافعا كان وراء العدوان . لكن العلم بان كل
تحليل سياسي رغم فعاليته المستقلة لايكفي تفسيرا لنفسه ، دفعنا الى استكشاف الجذور التي تغذي موقف الحكم الاسرائيلي
في اطرافه اليوم في السمة المهيمنة على الايديولوجية الصهيونية العامة : العنصرية اليهودية . وكان ان اتاح لنا ذلك
التناقض الذي يعيشه الكيان الصهيوني من جراء عنصريته ، وهو حاصل من الاستحالة الجديدة - القديمة التي تحكم
كل محاولة صهيونية اجلاء العرب الفلسطينيين عن الارض التي تدعى امتلاكها والتصرف بها انطلاقا من انكار عميق
لوجود اهلها الاصليين - نعني لوجودهم الوطني . اي ان التناقض حاصل ، في النهاية ، من كون الفلسطينيين بشرا
آخرين - بما هم فلسطينيون - في الطبيعة ومن كون هذا الوجود قد امسى قائما في معظمه ، بعد الحرب ، على الارض
التي تقع تحت السيطرة الاسرائيلية ثم من كون الفلسطينيين مصرين ، ثوريا على حقهم الوطني في هذا الوجود ذاته .

---

(١) انظر حول الارقام : تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني لعام ١٩٦٧ - مجلة " الطليعة " المصرية - عدد
اذار ١٩٦٨ - ونضيف ايضا انه لاعبرة بالسلاح وحده كما ونوعا ، فالراجح ان السلاح العربي لم يكن اقل شأنا من السلاح
الاسرائيلي في الحرب الاخيرة . اما التدريب والخبرة فلا يستطيع بلد متخلف ان يضع في وجههما الاكثرة العدد وحسن
التعبئة دون ان يعني ذلك اهمالهما ابدا .

(٢) انظر حول بعض المسائل المعالجة في هذه الفقرة : شاوول فوبلاندر " تأملات حول مستقبل اسرائيل " - (بالفرنسية)
- " سوي " - الفصل الثاني . وهذا المؤرخ الذي يعرف جيدا شؤون الدولة الصهيونية يحاسب بنوبات غباء متاجيء حالما
يتعلق الامر بالمؤثرات العربية . انظر ايضا حول الجوانب الخفية في تنظيم الجيش الاسرائيلي ، وهي التي لم نتناولها هنا : هيثم
الكيلاني - المذهب العسكري الاسرائيلي - سلسلة كتب فلسطينية - منظمة التحرير الفلسطينية .

رأينا ايضا ان اسرائيل لاتملك خروجا من هذا التناقض لكنها تحاول تجميده بالقمع على مختلف صوره وان هذا القمع يتفاقم حتى يؤدى الى تحول هام في نمط الاستعمار الاسرائيلي . ثم حاولنا ان نبين كيف ان القاعدة الصهيونية التي قامت عليها اسرائيل ، تكبل مجتمعها بقيود تنسيه تناقضاته الحادة وتجعل تطوره ، سلميا ، نحو التخلي عن طابعه العنصرى - الاستعمارى امرا محالا ، وكيف ان الحكم الصهيوني يحفظ من جراء ذلك حريته في الحركة ويزداد طموحا الى فرض سلامه بعد ان اطمأن الى صلابة قاعدته . ثم وضعنا المكان الذى تحتله اسرائيل في مجال الصراع بين مصالح الامبريالية ومصالح الجماهير العربية ، موضحين ، خاصة ، ان الامبريالية الاميركية لايمكن الا ان تزيد اكثر فاكثر من عدوانية دعمها لاسرائيل كلما بلغ ولاء الانظمة الرجعية العربية لها وغيرة هذه الانظمة على مصالحها . حتى اذا تبين لنا ان اسرائيل تستطيع في المستقبل ان تعتمد على مزيد من المساندة الامبريالية ، عدنا الى البيئة التي تستقبل هذه المساندة (الجيش الاسرائيلي) فرأينا انها لاتعدو ان تكون مجتمع اسرائيل نفسه في وظيفته العدوانية وان تحطيمها لايمكن ان يتم الا بحرب ثورية لان الثورة وحدها قادرة على دحر التنظيم الصهيوني العنصرى للمجتمع ، باعتبارها مؤهلة لتكوين بديل عنه .

ليس الحل السلمي اذن الاطريده اسرائيل . هذا ان اريد له ان يكون ممكنا . والحل السلمي الاسرائيلي هو ذاك الذى يحفظ مزايا الامر الواقع او معظمها ، ويحمد اخطارها وهو ذاك الذى يحفظ تخلف المنطقة وسيطرة الامبريالية عليها ، ويبقي لاسرائيل وظيفتها التي تستحق عليها رعاية الامبريالية : وظيفة كلب الحراسة التي تريدها اسرائيل ان تغدو ، في حالة السلام الكامل ، وظيفة الشريك الصغير .. وهو - الحل السلمي - ذاك الذى يحكم على الفلسطينيين بالرضوخ للمشروع الصهيوني بعد عشرين عاما قضوها في رق البؤس والقمع تحت حكم النظام اللبناني او النظام الاردني او سواهما . ان الحل السلمي اذن الا تصفية معظم القوى والدوافع التي تبني مستقبلا آخر للشعوب العربية . لذا فهو مستحيل . غير مضمون استحالته ليس في النهاية سوى نضال الجماهير العربية وطلائعها الثورية ودأبها في صياغة حل آخر .

ثالثا - الموقف الفلسطيني والحل الثورى

لا تقضي الخطة التي اخترناها لهذا البحث ان نعالج الموقف الفلسطيني كما عالجنا كلا من الموقفين الناصرى والاسرائيلي . فالامور في الساحة الفلسطينية واضحة في ملامحها العامة ، وهذه الملامح هي وحدها التي تعنينا . فلا حاجة اذن للدخول هنا في تفاصيل الجدل القائم بين المنظمات الفلسطينية رغم اهمية ذلك في مجاله . بل نحن نأخذ المقاومة كما هي بتعدد اطرافها وعلاقاتها المختلفة مع الانظمة العربية والجماهير وفعاليتها المتفاوتة في مواجهة العدو . والغاية من ذلك تحديد الشكل الاخير الذى يعطيه هذا العنصر الثالث للمواجهة التي حاولنا رسم معالمها في القسمين السابقين من البحث . لذا يكون ما سنقوله عن المقاومة الفلسطينية هو ايضا - متى اتضحت صلته بما سبق = خاتمة الكلام كله . فنجملها اذن في نقاط متصلة :

ان المقاومة الفلسطينية طوالت في طور نموها الاول وهي لم تنجح في توجيه ضربات للعدو تضعف طاقته او بشكل هذا فعليا كيانه . وهي لاتتمتع في وضعها الراهن باى تفوق عليه من اى نوع كان . فهي ، وان توصلت في المستقبل بعثة القادرين على القتال جميعا ، في صفوف الفلسطينيين لا تستطيع ان تحرز تفوقا عليه في العدد او العدة ، فأول لها مثل هذا التفوق في الوقت الحاضر . وهي تستطيع ان تقود الجماهير الفلسطينية صفوفا متراصة تحت شعارات في احسن الاحوال ، لكنها تجابه بهذه الجماهير مجتمعا متراص الصفوف ايضا تتوطد وحدته - وذلك ثابت بالتجربة ر ان بناه معرضة للنسف من الاساس . وهي تواجه هذا العدو على ارض لايعتبر نفسه غريبا عنها - خاصة من الذى تقوم مواطن قوته عليه - ويعرفها حق المعرفة بينما كان معظم المقاتلين الفلسطينيين اطفالا صغارا حينما منها . والارض المعنية ، الى ذلك ، صغيرة الرقعة نسبيا ، ليس فيها غابات الصين ولا مستنقعات فيتنام ولاجبال . والمقاومة تواجه احتلالا مباشرا في الضفة الغربية وقطاع غزة مما يتيح لها التخفي بين السكان والاستعانة بهم ى العمليات التي يمكن القيام بها في هاتين المنطقتين غير كاف لاجبار العدو على التنازل عن الاحتلال . والمقاومة - وهذا اهم ما في الامر - وراء حدود ١٩٤٩ ، مجتمعا كامل السمات منفصلا عنها لاجيش احتلال قائما في وسط وهي تستطيعا ، خلال سنوات ، ان تكسب الى صفها بعضا من الاوساط الثورية في العالم كان يؤيد العدو ، ت تفعل . لكن تحويل هذه المكاسب الى غلبة فعلية في هذا المجال رهن بتحقيق منجزات هامة فعلا على ارض رهن بتبلور ايديلوجية سياسية ذات طابع ثورى اكيد + حتى اذا لم يتحقق هذان الشرطان فانه يصعب علينا ان دول والاحزاب التي يتقدمها الاتحاد السوفياتي خارجة على موقفها المتحفظ من الثورة الفلسطينية . اما الصين د المقاومة منذ الان - وكذلك كوبا وكوريا وفيتنام الشيوعيتين - لكن هذا التأييد - رغم قيمته المعنوية - لايترجم ل محسوسة فعالة ، خاصة بسبب الاوضاع السائدة في سائر اقطار المنطقة . اما الشرطان المذكوران اعلاه فقد اولهما صعب التحقيق وسنرى بعد قليل مايحول دون تحقيق الثاني .

ـ ان منظمات المقاومة جاءت لتعكس على الصعيد الايديولوجي ، اتجاهات القوى الحية المختلفة التي يتشكل منها جمهور الشعب الفلسطيني ، محاولة التوفيق بينها وبين اسلوب الكفاح المسلح ، وهو امر لم يكن بالصعب • والاتجاهات المذكورة ، فيما يخصها ، خاضعة خضوعا عميقا ، وان لم يكن كاملا ، للتيارات الايديولوجية التي تتنازع الاقطار العربية • هكذا نجد جميع القوى العربية ذات الوزن السياسي تقريبا (١) ممثلة في الساحة الفلسطينية من الحركة الناصرية الى البعث ، الى حركة القوميين العرب قديمها وجديدها ايضا • بل ان اشد القوى رجعية في المنطقة حاولت دخول الساحة (منظمة فتح الاسلام التي انشأتها سعودية الفيصل) • لكن هذا الدخول ـ رغم مغزاه ـ لا يستطيع تجاوز الهامش • ان يفسر وجود بعض المنظمات التي تشدها صلات وثيقة ـ هذا اقل مايقال ـ الى بعض الانظمة العربية بمساعدة هذه الانظمة لها فحسب بل ينبغي البحث عن التفسير ، قبل ذلك ، في النفوذ السياسي الذي تتمتع به هذه الانظمة او احزابها ، او اوساط فلسطينية بعينها • حتى ان وزن كل منظمة ، في المجال الفلسطيني يكرر وزن القوة العربية التي تمثلها ومدى فعاليتها الفعلية بالمعركة الفلسطينية • ولانظننا نجاوز الحقيقة اذا قلنا ان فتح ـ المنظمة الكبرى ـ تمثل ، في ساحة المقاومة ، وزن النظام الناصري وايديولوجية في آن معا • ولتوضيح ـ تخفيفا للاستفسار الذي قد تثيره هذه الدعوى ـ اننا على ثقة من ان فتح مستقلة تماما في مسلكها عن ارادة الحكم الناصري • فالذي نشير اليه هو ان قوة فتح ، فلسطينيا وعربيا قائمة على استقطابها الجماهير ناصرية النزعة في الاساس وان اداة هذا الاستقطاب هي ايديولوجية ذات ملامح ناصرية ان هذه الملامح نكران الصراع الطبقي ومعاداة الامبريالية دون الانتساب الى نقيضها العالمي ومهادنة الانظمة العربية على اختلافها (السياسة الناصرية في طورها الاخير) • والنزعة الاسلامية التي تحفظ العلاقة مع دول الاسلام وتوفق مع الثورة باسم ثورية الاسلام "الاصيل" • والحق ان فتح ليست بحاجة الى تعمد الاخذ عن الناصرية • فهذه الاخيرة ظلت ـ قبل ان توجه التجربة في حزيران ـ تلبي حاجات طبيعية لدى الجماهير الفلسطينية • فلقد كان الفلسطينيون مسوقين الى الربط بين بؤس اوضاعهم الاجتماعية وبين مشكلتهم الوطنية • كذلك ظلوا بحكم تشردهم في مختلف الاقطار العربية يعلقون امالهم في العودة على الجهد العربي الموحد ، ولم يكن نمط البناء الاجتماعي في اي قطر عربي يعني لهم بتفاعيله شيئا كثيرا ، اذا استثنينا جانب الاعداد العسكري • عليه ، بدت شعارات الناصرية لهم ـ القومية الوحدوية ، معاداة الاستعمار (البريطاني خاصة) تقوية الجيش الوطني الخ ، ملائمة تماما للقضايا المطروحة عليهم مباشرة • وقد شدد من استعداد الفتح لوراثة الايديولوجية الناجمة عن هذا اللقاء استحالة الخوض ، منذ انطلاق المقاومة ، في مجابهة سياسية حادة ، مع الانظمة المختلفة ، ناهيك بالحاجة الى مساعدتها • اما الانظمة ـ وخاصة النظام الناصري ـ فقد كانت ، في اعقاب الهزيمة اول من المقاومة الفلسطينية ان تأخذ مكانها مؤقتا في مواجهة العدو ، امام الجماهير ، ريثما تتمكن هي من الوقوف على قدميها • لذا بقي التفاوت في وزن المنظمات المختلفة ايديولوجيا تابعا لوزن القوة العربية التي تمثلها كل منها • اليسار الفلسطيني الذي قد تتيح له ظروف الثورة الداخلية فرصا لاحراز بعض التقدم لا يستطيع مهما كانت هذه الفرص ان يجاوز كثيرا مكانة حلفائه العرب •

ـ ان ماسبق لايعني على الاطلاق كون الوئام حالا في طبيعة العلاقة بين منظمات المقاومة والانظمة العربية • فان اعتماد الكفاح المسلح اسلوبا للنضال امر له مستلزماته الايديولوجية التي تنحر شيئا فشيئا بعض المواقف الراهنة ولا تجيز على المدى الطويل دوام هذا الترجح بين النقيض والنقيض الذي يميز الايديولوجية الناصرية سياسيا ونظريا • فالكفاح المسلح يستتبع مثلا رفض الحل السلمي ويحول الجماهير التي ترفضه رويدا رويدا عن قطب الجذب القديم الذي استطاع ان يدوم طويلا ـ النظام الناصري ـ الى قطب جديد هو المقاومة الفلسطينية • ولا تشدد المقاومة كثيرا في ماتقوله وتنشره ، على ضرورة هذا التحول ـ اذا استثنينا طرفها الماركسي ـ نظرا لطبيعة موقفها الحالي من النظام الناصري • الا ان كلفة الحل السلمي النفسية على الجماهير ـ اذا سلمنا انها لاتدرك جوانب الكلفة السياسية كلها ـ ونمط الممارسة الذي تعتمده المقاومة ـ الكفاح المسلح ـ يقولبان عنها هذا التشديد • لذا فهي تسحب بساط الجماهير شبرا بعد شبر ، من تحت قدمي الناصرية • زد على ذلك ان الممارسة بسبب تعارضها مع الايديولوجية الغالبة حاليا على المقاومة تتصف ، من جانب آخر ، جانبا من جوانب هذه الايديولوجية نفسها • فشعار عدم التدخل في شؤون الدول العربية مثلا ، لايبقى له حالة تذكر (حين يؤدي دخول المقاومة اراضي لبنان الى ازمة حكم تعصف بالبلاد منذ ستة اشهر بحيث تمسي الازمة طريقة الحكم اما نكران الصراع الطبقي مثلا ، وهو ركيزة الايديولوجية الاجتماعية التي تعلنها فتح ـ فهو لن يصمد حتى انضج القوى التي تؤيد المقاومة فعلا ، في كل قطر عربي ، والموقف الذي يقفه منها الاقطاع الفلسطيني او البرجوازية الفلسطينية الكبيرة ... الخ • لكن هذا التبلور ، مهما تعمق يبقى اسير الحدود التي يفرضها عليه موقع المقاومة حاليا في المجال العربي وفعاليتها غير الحاسمة في المواجهة العربية ـ الصهيونية • والذي ينبغي ان يوضع في الحسبان هنا هو امكان استمرار التناقض بين الانظمة العربية والمقاومة دون انفجار • فايديولوجية الجماهير لاتقوم على المنطق ارسطو ولا تصل في اي ظرف الى التماسك المطلق • وتطور المجابهة ، على ارض الواقع ، بين الفرعين اللذين يتشكل منهما تناقض ما ، وكذلك علاقة هذا التناقض بتناقضات اخرى ، هما اللذان يحسمان مصير التناقض ـ نسبيا ـ لصالح احد

---

(١) هناك استثناء واحد هام هو الحركة الشيوعية العربية • وانه لمن غرائب الامور ـ في الظاهر على الاقل ـ ان يكون الذين يقع عليهم ـ مبدئيا ـ قيادة الثورة ، في عزلة عن الثورة الوحيدة في المنطقة •

...فرعين . لذا فان استمرار الوحدة العربية والمقاومة معا — لدى قطاعات هامة جدا من الجماهير ...عربية امر ممكن .. الا اذا سحقت المقاومة — وهذا احتمال بعيد جدا — او تردت الناصرية بسبب تناقضاتها الداخلية (١)

... — اذا صح ان توحيد المقاومة يعطيها وزنا جديدا — نسبيا — في وجه العدو وفي الوسط العربي — جماهيره وانظ... ان من الاكيد ايضا ان المقاومة في وضعها الراهن ،لا تملك الوسائل التي تتيح حسم الخلافات الكبرى بين فصائلها . فالمنظمة ...الوحيدة للهيمنة على قوى الثورة الفلسطينية هي التي تستطيع بما تملك من قوى ،ان تصوغ للثورة خطا سياسيا تقدر على تنفيذه ،اي تقدر ،خاصة ،على القيام بنوع من العمليات العسكرية وعلى ممارسة تأثير سياسي — ايديولوجي في جبهة العدو ،بحيث يبدو ثابتا ان كفتها قد بدأت ترجح في ميزان القوى وانها باشرت فعلا شق الطريق المؤدي الى حل ثوري ...القضية الفلسطينية . اما اذا بقيت الايديولوجيات المختلفة = ومن بعدها الخطوط السياسية — مقطوعة الصلة بمحك الواقع ، ...ان الجدل النظري — وان ادى الى خطوات مفيدة جدا في مجال التنسيق = لا يمكن ان يوصل الى الوحدة الفعلية ، ...حول ايديولوجية وخط متقدمين . وسيبقى القيام بعدد معين من العمليات الصغيرة بعد تلقي العون من طرف عربي او آخر ...كافيا لقيام منظمة فدائية جديدة . والذين يحملون ايديولوجية وخطا سياسيا ثوريين فعلا في الساحة الفلسطينية يستطيعون ...ان يحققوا بعض التقدم لجهة توثيق الصلة بالجماهير الفلسطينية واقامة علاقات تنظيمية بينهم ذات طابع ديمقراطي ثوري ، ...وهذا امر ممتاز . لكنهم يجدون في سبيل التوسع والهيمنة — بالمعنى السياسي — عقبتين صعبتين عدا العقبة المذكورة ...اعلاه . اول هاتين العقبتين فقدان السند العربي الذي يستطيع ان يقيهم شر القمع العربي ايضا ، في الحين الذي تتلقى ...فيه سائر المنظمات مساعدات عربية جمة تعينها كثيرا على مد مواقعها وتوطيد وقفتها . وثاني هاتين العقبتين كونهم ...يعتمدون في ابقاء هذا القمع على وحدة الثورة المعنوية امام الجماهير وعلاقات الاخوة السائدة بين فصائلها المختلفة = لذا ...فهم ملزمون ،لقاء ذلك ، شاؤوا ام ابوا ،ابقاء الخوض في صراع ايديولوجي — سياسي مباشر مع المنظمات الاخرى . اما ...البرهان على اقتراب هذه المنظمات او بعضها من مواقعهم فهو يسقط اذا اخذنا بعين الاعتبار قصورهم — وقصور المقاومة ...ايضا — عن تحقيق الشرط الذي عيناه في بداية هذه الفقرة .

— ان الوضع الموصوف في الفقرتين الاولى والرابعة (رجحان كفة العدو على المقاومة والعقبات الذاتية التي تحد فعاليتها) ...جعل بعض اشكال الممارسة في الثورة الفلسطينية تنم في الواقع على الضعف رغم انها تريد التحول الى مظاهر قوة . من هذه ...الاشكال المبالغة في تصوير حجم العمليات وعددها ،وهي خطوة جدا لانها حين تنكشف مرة واحدة تهز ثقة الجماهير في ...صحة مايكون صحيحا فعلا . اما سببها فهو الرغبة في نسبة اثر للمقاومة على العدو لاتقدر المقاومة ،في حالها الراهنة ، ...على احداثه فعلا ، وهي لوكانت قادرة عليه لما احتاجت الى المبالغة . ومن هذه الاشكال ايضا ادخال نوع معين ...من العمليات في اطار سياسي او عسكري فضفاض جدا اذا قورن بحجمها او دلالتها الحقيقيين . فاذا احتلت فتح مثلا ...قرية الحمة ساعات قليلة وصف هذا الاحتلال على انه مقدمة لاقامة مناطق محررة (٢) وكان المعنى العام لهذه الدعوى ان ...المقاومة تقف على عتبة التحول الى حرب تحرير شعبية وفي هذا تمويه ضار لحدودها الفعلية ،رغم الجدة الاكيدة في عملية ...الحمة وفي حجم الخسائر التي يكبدها مثلها للعدو . واذا اطلق مقاتلو الجبهة الشعبية النار على طائرة مدنية اسرائيلية ...فنسفوا طائرة مدنية اميركية سمي هذا ملاحقة للعدو تحت كل سماء او مدا للمعركة الى مواطن الامبريالية اينما وجدت . ...ان هذه التسمية — رغم اهمية العمليات مرة اخرى — تعبر عن الامنية اكثر مما تعبر عن بداية تحقيقها وتشارك في اخفاء ...شروط الفعلية لضرب اقتصاد العدو او لفتح معركة مع الامبريالية . ثم ان غلبة هذا النوع من العمليات على نشاط منظمة ما ...تدل ،في الواقع ، على ضعف طاقتها القتالية ،لان الوسائل التي يستلزمها لاتنم ضرورة عن وجود حركة ثورية واسعة منظمة ...وقوم بالتنفيذ . وهذا كله دليل آخر على ان المقاومة تعين طريق التحرير ، لكنها لا تملك وحدها القدرة على سلوكها .

— ان المقاومة قد ادت حتى الان مهمات عظيمة الشأن ،نستطيع ان نجمل مفعولها بالقول انها قدمت المشاركة الحاسمة ...في رفع هزيمة حزيران ١٩٦٧ من رسم الافق المفتوح امام الشعوب العربية ، في المرحلة المقبلة من تاريخها ،على صورة تعكس ...نتائج الحرب المادية . فهي قد اثبتت للعالم وللعدو ان للشعب الفلسطيني وجودا وطنيا فاعلا هو اول مايجب وضعه ...في الحسبان عند تصور اي حل للقضية الفلسطينية . وهي قد شاركت — مع الجماهير المصرية خاصة — في الحد من تردي ...الانظمة العربية نحو هاوية الاستسلام . وهي بشقيها — العمل الفدائي ومقاومة الاهلين في الاراضي المحتلة — قد رفعت ...كلفة الاحتلال على العدو واجبرته — قبل بداية المعارك في منطقة السويس — على رفع استعداده العسكري الى اقصى ...حد يستطيع احتماله مدة طويلة . وهي قد اضرت بصلابة مواقعه السياسية في العالم واسقطت بعضا من اقنعته فحولت ...كل قوى ثورية كانت تسانده او تسايره ووقفت الاواصر بينه وبين الامبريالية العالمية واجبرت هذه الاخيرة على التزام موقف ...جد صراحة من ذي قبل في مواجهة الحركة الوطنية العربية ، فساعدت بذلك على تحديد الفواصل وتعيين المواقع . وهي ...امدت الثوريين اليهود بقوة جديدة ،سياسية وايديولوجية يحاربون بها العنصرية الصهيونية والنزوع الذي يليها الى التوسع ...بدأت بصياغة الشكل الذي تراه لفلسطين المقبلة وافرت الوجود العبري على ارضها ، في اطار دولة ديمقراطية ، مخالفة

---

(١) انظر القسم الاول من هذا البحث : الموقف الناصري والحل العسكري .

(٢) انظر حديث ابو اياد لمجلة الطليعة المصرية — عدد حزيران ١٩٦٦

لك منطق الشعار العاجز الذى كان يزداد عنفا كلما ازداد ضعف مطلقيه او ولاؤهم للاستعمار • وهذا دليل
ثقة وثقة بالنفس ومقدمة - متى توفرت شروط لا تستطيع المقاومة وحدها ان توفرها - لضرب وحدة المجتمع الاسرائيلي
العمل الصهيونية ، وهو هدف المرحلة التي يليها مباشرة تنفيذ الحل الثورى لقضية فلسطين • والمقاومة قد بدأت ايضا تكون
موذجا جديدا من المناضلين العرب يواجه الحرب بعدة جديدة قتالية وسياسية ونفسية • وهي ، كما اسلفنا ، قد عينت
ام الجماهير العربية اسلوبا جديدا في تنظيم الحرب يقتضي تنظيما ثوريا للمجتمع وترى فيه الجماهير شيئا فشيئا بديلا
روحا عليها عن الحرب التقليدية كلما ثبت فشل هذه الاخيرة في الحسم على صعيد الصدام المستمر او المطلق • وهي قد
بت جسورا جديدة بين المعارك التي تخوضها الجماهير في مختلف الاقطار العربية وبدأت تكشف مدى ولاء كل فئة
قضية الثورة او مدى خيانتها لها • وهي قد زادت من شعور الجماهير العربية بصغارة قادتها الحاليين وهم يتسكعون
ن اعتاب الدول الكبرى ويستجدون تنازلا ما يقدمه العدو ويقدمون عوضا عنه عشرة تنازلات الخ •• والمقاومة قادرة
ى ترسيخ هذه المنجزات جميعا وعلى الوصول الى مستويات اعلى في التعبئة والتنظيم والحدة والوضوح والفعالية • وهي
ادرة ، ومن ورائها الجماهير ، على الصمود الى ان تتحقق بفعل صمودها - قبل كل شيء - شروط النصر الاخرى •

- ان الحل الثورى شأنه شأن الحلين الاخرين ، مستحيل ، هو الاخر ، في ظل معطيات المواجهة الراهنة • والذين
دعون ان المقاومة وحدها قادرة على تحقيق هذا الحل يأملون ان يكفيهم الهتاف بحياتها شر وصول النار الى بيوتهم •
والذين لايرون فيها الا اداة للضغط في سبيل الحل السلمي يأملون ان يشتروا بجلود الفلسطينيين سلامة جلودهم
" ارتفاع مداخيلهم • ونحن نعلم ان هيكل مثلا يقول عن منجزات المقاومة بعض ما قلناه ويطرب كثيرا حين يصل الى حدودها
بلذ له ان يردد ان فلسطين " ليست الجزائر " و " ليست فيتنام " وهو يخلص من ذلك الى ان العبء الاكبر في المعركة
يقع على الجيوش النظامية • ونحن ، من جهتنا ، لا نستطيع الفصل بين تصورنا للمقاومة وتحليلنا للوضع المصرى ، فنفى بالتالي
ن كنس نظام الهزيمة الناصرى المستمر في تراجعه امر ممكن ، ان اقامة نظام شعبي في مصر يعتمد حرب التحرير
شعبية هو السبيل الوحيد لاعطاء المعركة ابعادها الحقيقية وتحقيق النصر • فان حرب التحرير الشعبية ، دون سواها ،
درة على توفير مستوى من التعبئة الثورية يشمل المجتمع كله ويستفيد من التفوق في العدد على العدو ،
واجه بذلك مستوى التعبئة الرفيع الذى يتمتع به هذا الاخير ، والحرب الشعبية قادرة بالتالي على استنزاف قوى العدو
استنزافا فعليا ، اذ تؤهل الشعب لتحمل الخسائر وتوليه حماية المرافق الهامة في حياة البلاد • فلا شك ابدا في
ن ما يحول بين الجيوش النظامية وبين توجيه ضربات شديدة للعدو ليس استحالة هذه الضربات موضوعيا ، بل الخوف
ن الخسائر التي يتحمل الحكام وحدهم مسؤوليتها ، تحت الانظار الراهنة ، والخوف ايضا من ضربات مقابلة يسديها
عدو الى مرافق الاقتصاد الهامة التي لاتغطيها حماية الجيش النظامي • هذا عدا التحول الحاسم الذى يحدثه في تاريخ
شعب المصرى والشعوب العربية مجرد قيام نظام شعبي في مصر • يكفي ان نذكر هنا ان مثل هذا النظام يسلم عشرين
يونا من الفلاحين في مصر مقاليد مستقبلهم ويتكفل بالهاب النفط تحت العروش الرجعية وما يختبئ خلفها من مصالح
امبريالية تنهب ثروات المنطقة العربية وتستعبد شعوبها • وليس شأننا هنا ان " نفتح " على الشعب المصرى صيغة
ستمدها لثورته • لكن انتظار ترياق الحزب الثورى اغفال للحقيقة كبرى • وهي ان هذا الحزب ، في البلدان الشديدة
تخلف ، لم يستطع الانتشار والسيطرة الا بين نيران الحرب الشعبية نفسها • لذا فان حركة الجماهير العفوية ، في مصر
قد ثبتت قوتها ، ستكون هي العامل الحاسم وسيكون خروج قيادات ثورية من صفوف الطلبة والعمال والفلاحين تنسق العمل
في مابينها ولا تلتقي ، في الارجح على خط ايديولوجي كامل بل على جملة من المبادئ البسيطة ، هو التنظيم المؤهل
تفجير الحركة وتعميق ابعادها ، في اول الامر •

- تبقى مسألة بالغة الاهمية هي مسألة الموقف السوفياتي من انتشار الاسلوب الذى تمهد له المقاومة الفلسطينية الى
قطار عربية اخرى يعتبرها الاتحاد السوفياتي حليفة له • والثابت ان العون الذى تلقته الحركة الوطنية العربية من
المعسكر الاشتراكي كان عاملا مصيريا في المنجزات التي استطاعت تحقيقها منذ عام ١٩٥٥ • والثابت ايضا ان هذا
العون في الفترة الحاضرة ، يسعف الاتجاه الناصرى الى تجميد الاوضاع في المنطقة العربية او - على الاصح - ردها
الى الخلف • لكن " اليساريين " الذين يدعون الى فصم العلاقة بين الاتحاد السوفياتي والحركة الوطنية العربية و " الحوا
الذين لايرون لهذه الحركة موقفا الا الموقف الذى يحاول الاتحاد السوفياتي املاءه عليها ، هؤلاء جميعا ينسون على
وجه الدقة ، ما ينبغي تذكره • وهو ان موقف موسكو الحالي من المقاومة الفلسطينية وامكان تحولها ، موقف تقليدى
للغاية ، يخضع لطبيعة المرحلة التي تمر فيها هذه المقاومة • فلقد وقف الحكم السوفياتي منذ بداية عهد ستالين -
اطلاق نظرية الاشتراكية في بلد واحد - موقف التحفظ بل المناوأة من جميع الثورات الشعبية الحقيقية ، في البلدان
المتخلفة خاصة ، طالما ان هذه الثورات لم تكن قد اثبتت مقدرتها على الصمود واتجاهها نحو النصر • فهو قد قدم
ثورة الصينية الاولى في اواسط العشرينات غنيمة باردة الى تشان كاى شيك • وهو قد سكت عن سحق المقاومة اليونانية
اعقاب الحرب الثانية • وقد ظل يناوئ الثورة الصينية الاخيرة في الاربعينات ، حتى انتصارها • وهو قد القى على

ا الصين الشعبية التبعة الكبرى في مساندة الثورة الكورية . وهو لم يبد حماسا للثورة الكوبية الا بعد انتصارها . وهو قد
لـ ائيرموقف الشيوعيين الفرنسيين من الثورة الجزائرية حتى بدا انها تتجه نحو الظفر . وهو لم ينشط فعلا في تبني الثورة
ا الفيتنامية الا بعد ان ثبت صمودها وتعرضت جمهورية فيتنام الاشتراكية للعدوان الاميركي .. الخ .. لكن معظم هذه الثورات
ـ ماخلا الثورة اليونانية ـ قد انتصرت او هي في طريقها الى النصر . وهي قد تلقت جميعا ، قبل النصر اوبعده ، عونا
سوفياتيا كان له تأثير بالغ في مصيرها . وذلك كله ـ المناوأة والعون ـ له اسبابه المعقدة التي لامجال لبسطها هنا(1)
كن الاشكال لا يحل بمحاكمة خلقية لقادة الاتحاد السوفياتي ولا باستغناء " مترفع " عن معونة . فالثابت ان البنية التي
تلقى هذه المعونة هي التي تحدد معناها وان غلبة الاتجاه الثوري في المنطقة العربية هي الكفيلة بفصم العلاقـــة
ين الاتحاد السوفياتي والانظمة المتهاوية . والموقف الثوري ليس ذاك الذي يؤول الى " دعم " الانظمة المذكورة " حفاظا
لى الصداقة العربية السوفياتية " او " عرفانا للجميل " .

ل ـ ان الحل الثوري هو الحل ، وكل ما عداه هزيمة حزيران .

بيروت في اوائل تشرين الاول ١٩٦٩

---

(1) اشرنا الى بعضها في القسم الاول من هذا البحث .